الوظائف التعليمية والفاعلية التعلمية للاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي

د. السر أحمد سليمان
قسم علم النفس التربوي
كلية المعلمين: حائل – المملكة العربية السعودية

الملخص

يلعب الاتصال اللفظي وغير اللفظي دورا مهما في عمليات التعليم والتعلم، ولذلك هدفت هذه الدراسة إلى تحديد أساليب الاتصال غير اللفظي المستخدمة في الحديث النبوي، ومعرفة وظائفها التعليمية وفاعليتها التعلمية. وللتحقق من ذلك طبق الباحث أسلوب تحليل المحتوى على عينة من الأحاديث النبوية الصحيحة، ومن ثم توصل إلى النتائج التالية:

١ – تمثلت أساليب الاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي في ما يلي:

أ – تعبيرات الوجه: الضحك، الاتصال البصري، تغيير هيئة الوجه، تغيير لون الوجه، البكاء، والصمت.

ب – استخدامات اليد: اللمس، الإشارة إلى الأشياء المحسوسة، والإشارة الرمزية التعبيرية.

ج – الحركات الجسمية العامة: تعديل وضع الجسم، الإقبال، الإعراض، رفع الرأس وتنكيسه.

٢ – تمثلت الوظائف التعليمية للاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي في الآتي: التهيئة والاستعداد، التفاعل التربوي، نقل الرسائل الوجدانية، نقل الرسائل المعرفية، ونقل التوجيهات العملية المباشرة.

٣ – حقق الاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي فاعلية تعلمية في: المجال المعرفي، المجال الانفعالي، ومجال تعلم المهارات والأفعال النفس حركية.

وفي ضوء هذه النتائج قدّم الباحث مجموعة من التوصيات تدور حول ضرورة استخدام الاتصال غير اللفظي في عمليات التعليم، وضرورة الإقتداء بالنبي ﷺ في كل أساليبه التعليمية.

مقدمة:

مارس الإنسان الاتصال بالآخرين منذ القدم، فبعد أن خلق الله تعالى أبا البشر آدم عليه السلام، أمره بإنباء الملائكة بأسمائهم: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾ (سورة البقرة:٣٣). فهذه الآية تشير إلى وجود طرفين: مُنبِئ (وهو آدم) ومُنْبَئين (وهم الملائكة)، كما تشير إلى ما قام به آدم عليه السلام، وهو الإنباء. والنبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم (الأصفهاني، ١٩٩٨: ٤٨٢). وبهذا الشكل فقد تضمنت عملية الإنباء هذه كل عناصر الاتصال، لأن الاتصال هو مفهوم عام يتضمن أي نوع من أنواع إرسال الرسائل واستقبالها (الجيوسي، ٢٠٠٢: ٢١).

وعادة ما تتم الإشارة إلى أن الاتصال يتم غالباً عن طريق اللغة، وإذا كانت اللغة نظاما من العلامات أو ضربا من السلوك، فإنها ليست النظام أو السلوك الوحيد الذي يستعمله الإنسان للتواصل مع غيره، فهناك أنظمة أو أنماط سلوكية غير لغوية تصاحبها أو تدعمها مثل التعبير الجسمي(حسام الدين، ٢٠٠١: ٩). والاتصال الذي يتم من خلال التعبير الجسمي، أو الذي يتم بدون استخدام الألفاظ اللغوية يسمى الاتصال غير اللفظي(Knapp & Hall, 1997:5)، ولهذا الاتصال غير اللفظي أهمية كبيرة في حياة الإنسان، وخاصة في المجال التربوي، لأنه يؤثر في أداء المعلمين، ولذلك أصبحت فاعلية التدريس تُقوَّم وتقاس من خلال السلوك غير اللفظي الذي يمارسه المعلم (Babad et al., 2003).

وأصبح نجاح المعلمين يُحدد بمدى استخدامهم للاتصال غير اللفظي، وبناء على هذا يرى بعض الباحثين أن المعلم الناجح هو الذي يتكلم بكل بدنه وبكل شخصيته، فتعبيراته غير اللفظية تشكل خير إطار للكلمات التي يلفظها

في تناغم يفرض نفسه على الجميع، فحركاته وسكناته وتعبيراته الباسمة ونظراته المتصلة.. وجذعه المائل قليلا إلى الأمام كلها تشع دفئا وتقبلا للتلاميذ، وبالتالي يجذب التلاميذ إليه (الصافي، ١٤١٩هـ: ٨٠).

ومن المعروف أن أكثر المعلمين تأثيرا في المتلقين هو النبي ﷺ، فقد منّ الله تعالى به على المؤمنين: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ (سورة آل عمران:١٦٤). وقد وصف أحد الصحابة الرسول ﷺ بقوله: "فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي! مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ" (مسلم، ١٩٩٨: ح٥٣٧).

وقد اشتهر النبي ﷺ بتفرده بامتلاك مفردات وأساليب الخطاب اللفظي البليغ، فقد قال ﷺ: "بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ" (البخاري، ١٩٩٨: ح٧٠١٣). وهذه البلاغة اللفظية قد أكدها علماء السيرة والشمائل حيث يقول القاضي عياض عن فصاحة النبي ﷺ: "وأما فصاحة اللسان، وبلاغة القول، فقد كان ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، وأوتي جوامع الكلم"(عياض٢٠٠١،ج١: ٦٢). وقال ابن القيم: "كان ﷺ أفصح خلق الله، وأعذبهم كلاما، وأسرعهم أداءً، وأحلاهم منطقاً، حتى إن كلامه ليأخذ بمجامع القلوب، ويسبي الأرواح، ويشهد له بذلك أعداؤه" (ابن قيم الجوزية، ٢٠٠٢، ج١: ١٧٥).

وعلى الرغم من تمكنه ﷺ من الخطاب اللفظي السلس، إلا أنه ﷺ قد استخدم الاتصال غير اللفظي في تبليغه للرسالة الإسلامية، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: " كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعذرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ " (البخاري١٩٩٨: ح ٦١٠٢). وهذا يدل على استخدامه التعبير بالوجه. وكذلك استخدم النبي ﷺ الإشارة بأصابع اليد، فعَنْ سَهْلٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا" وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى

وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا (البخاري١٩٩٨: ح ٥٣٠٤). نلاحظ أن هذه الأحاديث تدل على استخدام النبي ﷺ للاتصال غير اللفظي في حديثه النبوي، وذلك على الرغم من قدرته ﷺ على التعبير عن الموضوعات التي وردت في هذه الأحاديث بأفضل الكلمات اللفظية وأجزلها، نسبة لفصاحته وبلاغته اللفظية الفائقة، لأنه قد أُوتي جوامع الكلم.

مشكلة البحث

إذا كان الاتصال غير اللفظي يلعب دورا كبيرا في المجال التربوي، إلى درجة أن فاعلية المعلمين ونجاحهم تقاس بمدى استخدامهم وإتقانهم له، وإذا كان النبي ﷺ قد بُعث معلما ميسرا، وكان خير معلم عرفته البشرية، فما الأساليب الاتصالية غير اللفظية التي استخدمها النبي ﷺ في حديثه النبوي، وما الأهمية التعليمية والفاعلية التعلمية لأساليب الاتصال غير اللفظية التي استخدمت في الحديث النبوي؟

أهداف البحث

تتمثل الأهداف الرئيسة للبحث في ما يلي:

١ – إبراز أساليب الاتصال غير اللفظية المستخدمة في الحديث النبوي، وتصنيفها لتيسير عملية التأسي والاقتداء بالنبي ﷺ في استخدام الاتصال غير اللفظي في المجالات التربوية والإعلامية.

٢ – تعرف الوظائف التعليمية والفاعلية التعلمية للاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي، للمساهمة في إقناع المعلمين والدعاة والإعلاميين بأهمية استخدامها في تبليغ الرسائل المختلفة.

٣ – إثراء الدراسات التربوية بمزيد من النتائج العلمية التي تبرز الجوانب المختلفة لأساليب التعليم والاتصال التي كان يستخدمها النبي ﷺ. وذلك للمساهمة في الكشف عن العناصر التعليمية التي استخدمها النبي ﷺ،

والتي أدت إلى إحداث تلك النقلة الكبيرة التي أحدثها النبي ﷺ في المجتمع.

أسئلة البحث

يسعى الباحث للإجابة عن هذه الأسئلة المتفرعة عن مشكلة البحث:

١ – ما أساليب الاتصال غير اللفظية المستخدمة في الحديث النبوي؟

٢ – ما الوظائف التعليمية للاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي؟

٣ – ما الفاعلية التعلمية للاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي؟

أهمية الموضوع ودواعي اختياره

تتضح أهمية إجراء هذا البحث، وتبرز الأسباب الداعية لاختياره من خلال النقاط التالية:

١ – إن الرسول ﷺ هو القدوة والأسوة الحسنة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (الأحزاب:٢١). وقد وضح الراغب الأصفهاني معنى الأسوة بقوله: " هي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً وإن قبيحاً وإن ساراً وإن ضاراً، ولهذا قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فوصفها بالحسنة". (الأصفهاني، ١٩٩٨:٢٦). وقال ابن كثير: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله (ابن كثير، ٢٠٠٠: ١٠٨٢). وطالما أن الرسول ﷺ قد كان خير معلم فإنه حري بالمعلمين أن يتأسوا بأحواله وأفعاله في عمليات التعليم، والتي من ضمنها عمليات الاتصال غير اللفظي، ولذلك تأتي هذه الدراسة لتوضيح تلك الأساليب التي كان يمارسها الرسول ﷺ، لدفع أولئك المعلمين لاستخدامها عمليا.

٢ – يغلب على الخطاب التعليمي والإعلامي الإسلامي – المعاصر – الطابع اللفظي الخالص، كأنما المربي المسلم مطلوب منه أن يكون متكلماً جامداً،

يصدر صوتاً بلا حركة، يتكلم ولا ينظر، يقول: "مثل المؤمن للمؤمن كالبنيان"، ولكن لا يشبك أصابعه! ويبدو أن ذلك نابع من الجهل التام بكيفية الخطاب النبوي، وخاصة في جانبه الحركي غير اللفظي، ولذلك تأتي هذه الدراسة لإبراز صورة الخطاب التعليمي النبوي في جانبه الحركي وغير اللفظي، الذي قد أهمله المعلمون والدعاة والإعلاميون المعاصرون بقدر كبير.

٣ – دلت الدراسات التربوية الحديثة على أهمية استخدام الوسائل والتقنيات في التعليم، وأكدت كثير من الدراسات على فاعلية التعلم عندما يتم من خلال عدة وسائط، ويخاطب أكثر من حاسة لدى المتعلم، ولكن هناك صعوبات تواجه استخدام تلك الوسائل، ومن ضمن تلك الصعوبات: عدم قناعة المعلمين باستخدام الوسائل، وعدم توافر التسهيلات المادية المساعدة، وعدم توافر معظم الوسائل بالمدارس(أحمد، ٢٠٠٢). ولذلك تبرز أهمية الدراسة الحالية، لأنها تدعو لاستخدام المعينات الاتصالية غير اللفظية التي تتوفر في كل مدرسة بل و يحملها كل معلم في جسمه، وذلك من أجل المساهمة في تجاوز بعض الصعوبات المتعلقة بعدم وفرة الوسائل والمعينات التعليمية. وتظهر أهمية الدراسة الحالية كذلك من خلال إسهامها في إقناع المعلمين باستخدام تلك الأساليب غير اللفظية، وإشعارهم بأهميتها نسبة لاستخدام النبي ﷺ لها.

الدراسات السابقة

يتمحور موضوع البحث بصورة خاصة حول الوظائف التعليمية والفاعلية التعلمية للاتصال غير اللفظي – عن طريق أعضاء الجسم فقط – في الحديث النبوي، ووفقاً لهذا التحديد لم يتمكن الباحث – في حدود علمه – من العثور على دراسة سابقة مطابقة تماماً للموضوع. ولكن نلاحظ أن هذا الموضوع يتقاطع مع ثلاثة ميادين معرفية كبرى: الميدان الأول يتمثل في الدراسات الإسلامية البحتة وخاصة ما يتعلق بالحديث والسيرة والشمائل النبوية، والميدان

الثاني تمثله الدراسات التربوية الإسلامية بصفة خاصة، والميدان الثالث يتمثل في الدراسات التربوية والنفسية في مجال الاتصال، وفي ضوء ذلك سوف نستعرض ما توفر لنا من دراسات ونبين مدى صلتها بموضوع البحث:

الميدان الأول: الاتصال غير اللفظي في الدراسات الإسلامية البحتة

نسبة لأن شخصية الرسول ﷺ وسيرة حياته مثلت التطبيق الحي لتعاليم الإسلام فقد اهتم كثير من العلماء بتدوين دقائق الأمور التي تتصل بذلك، فظهرت كتب السيرة النبوية والشمائل والخصائص وغيرها، وضمن ذلك فقد أشار العلماء إلى السلوك غير اللفظي للنبي ﷺ فنجد أبا عيسى الترمذي قد جمع تلك الأنماط السلوكية الاتصالية غير اللفظية في كتابه عن الشمائل المحمدية تحت العناوين التالية: باب ما جاء في تكأة رسول الله ﷺ، وباب ما جاء في ضحك رسول الله ﷺ، وباب ما جاء في بكاء رسول الله ﷺ (الترمذي، ١٤١٣). وعلى نفس هذا المنوال الجمعي سار ابن حيان الأصبهاني في كتابه عن أخلاق النبي ﷺ وآدابه حيث أورد مجموعة من الأحاديث عن صفة ضحكه وتبسمه وسروره وغضبه ومزاحه وصفة بكائه وحزنه ﷺ (الأصبهاني، ١٩٩٨). ونجد الحسين البغوي قد بوّب أبوابا عن إعراضه ﷺ عما كرهه، وعن بكائه وحزنه ﷺ، وعن سروره وضحكه ومزاحه ﷺ (البغوي، ١٩٩٩).

ونلاحظ أن هذه الدراسات قد أكدت على استخدام النبي ﷺ لهذه الأساليب، إلا أنها قد اهتمت بالجانب الوصفي التصنيفي فقط، فهي عبارة عن جمع للأدلة التي تصف السلوك غير اللفظي وتصنيفه على حسب الأنواع السائدة مثل: الضحك والبكاء والإتكاءة وغيرها.

ومن جانب آخر نجد بعض العلماء الذين تناولوا هذه الأنماط غير اللفظية بصورة أكثر تحليلا من مجرد التصنيف والوصف الظاهري، فسعوا لمعرفة الدلالات المختلفة لتلك الأساليب غير اللفظية، ومن هؤلاء الإمام البخاري الذي أورد عدة أبواب في كتابه الصحيح عن هذا الموضوع، ففي كتاب

العلم أورد مجموعة من الأحاديث تحت باب: من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، وباب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره. وفي كتاب الجنائز أورد أحاديث تحت باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن، وباب البكاء عند المريض. وفي كتاب الوصايا أورد مجموعة من الأحاديث تحت باب إذا أومأ المريض برأسه إشارة بينة تعرف (البخاري، ١٩٩٨).

وعلى نفس هذا المنوال أفرد النسائي كتابا عن العلم جمع فيه مجموعة من الأحاديث التي صنفها تحت أغراض تربوية مختلفة، وأورد فيها مجموعة من الأبواب التي تبين دلالات الاتصال والسلوك غير اللفظي في الحديث النبوي مثل: باب الضحك عند السؤال، باب الجواب بإشارة اليد، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره (النسائي، ١٩٩٤).

ومن جانب آخر نجد أن الملاحظات الأكثر عمقاً تمثلت في استنباطات الفقهاء والمفسرين الذين أخرجوا مجموعة من الدلالات المرتبطة بالإشارات، والاتصال غير اللفظي بصورة عامة، وقد تناول عبد الله الطريقي (الطريقي، ١٩٩٢) هذا الموضوع في الفقه الإسلامي في دراسة بعنوان: الإشارة وما يتعلق بها من أحكام في الفقه الإسلامي، حيث جمع في تلك الدراسة الأدلة الشرعية وأقوال الفقهاء من أئمة المذاهب الإسلامية وعلمائها عن أحكام الإشارة لدى الأخرس والناطق وذلك فيما يتعلق بأحكام الأسرة والعبادات وغيرها، وتوصل إلى أنه إذا اجتمعت الإشارة والعبارة فإن جمهور أئمة المذاهب يرون تغليب الإشارة على العبارة إذا اجتمعتا واختلف موجبهما.

وهكذا نلاحظ التطور في هذه الدراسات من الوصف والتصنيف الظاهري إلى استنباط الدلالات التعليمية والأحكام الشرعية إلى تناول مفهوم الإشارات والرموز نفسها ومقارنتها مع الكلام اللفظي. وهذا التنوع في التناول يمثل حافزا لتناول وظائف السلوك غير اللفظي التعليمية ومعرفة فاعليته التربوية.

الميدان الثاني: الاتصال غير اللفظي في الدراسات التربوية الإسلامية

تناول الباحثون في مجال التربية الإسلامية موضوعات متنوعة عن التعليم والتعلم وطرائقه بصورة عامة، وعن طرق وأساليب التربية النبوية بصورة خاصة، أما ما يتعلق بموضوع البحث الحالي فلم يتم طرقه تحديداً – في حدود علمنا – بيد أن من ينقب في كتب التراث الإسلامي التربوية سيجد أن هناك من أشار إلى جوانب من هذا الموضوع، ومنهم من لم يتطرق إليه إطلاقاً.

ومن أمثلة من تطرق لذلك بدر الدين بن جماعة (ابن جماعة، ٢٠٠٢) الذي أشار إلى بعض أساليب الاتصال غير اللفظي في كتابه تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، وذلك في عدة فصول منها: الفصل الذي خصصه لذكر آداب العالم في درسه، حيث وضع من بين تلك الآداب " القصد في الالتفات " أي يلتفت إلى الحاضرين التفاتا قصدا بحسب الحاجة إليه، ويخص من يكلمه أو يسأله أو يبحث معه على الوجه عند ذلك بمزيد التفات إليه وإقبال عليه، وإن كان صغيرا أو ضعيفا. ويذهب ابن جماعة إلى التحذير من عدم التفات المعلم تجاه طلبته بقوله: فإن ترك ذلك – أي الالتفات نحو الطلبة – من أفعال المتجبرين المتكبرين. وفي الفصل الذي يحمل عنوان أدب العالم مع طلبته، يرى ابن جماعة: أن على المعلم أن يعامل طلبته بطلاقة الوجه، وظهور البشر، وحسن المودة، وإعلام المحبة، وإضمار الشفقة، لأن ذلك أشرح لصدره وأطلق لوجهه وأبسط. نلاحظ أن ابن جماعة قد أولى هذه الأساليب الاتصالية غير اللفظية اهتماما واضحا، حيث أدرك أهميتها التربوية، ومع أنه لم يستدل على ما ذكره من آراء بأي حديث أو موقف نبوي أو تجربة ذاتية.

وفي العصر الحاضر برزت كثير من الدراسات التربوية التي اهتمت بالجوانب العامة للتربية الإسلامية وعلمائها، وهدفت بعض تلك الدراسات إلى تبيين الأبعاد التربوية في السيرة النبوية، ومن أمثلة ذلك ما كتبه عبد الفتاح أبو غدة عن الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم، حيث بيّن بعض أساليب النبي ﷺ في التعليم. وفي ما يتعلق بالاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي وعلاقته

بالتعليم، نجد أن أبا غدة (أبو غدة، ١٩٩٧) قد أشار إلى الموضوعات التالية: جمعه ﷺ بين القول والإشارة في التعليم، تعليمه ﷺ بالسكوت والإقرار على ما حدث أمامه، إشعاره ﷺ بالأهمية بتغيير جلسته وحاله، إمساكه ﷺ بيد المخاطب أو منكبه لإثارة انتباهه، اكتفاؤه ﷺ بالتعريض والإشارة في تعليم ما يستحيا منه، غضبه وتعنيفه ﷺ في التعليم إذا اقتضت الحال ذلك.

ورغم أن هذه الأساليب غير اللفظية التي أوردها أبو غدة في بحثه قد ظهرت متفرقة وسط الأساليب اللفظية الأخرى إلا أنها قد لمست جانبين مهمين: الأول هو إثبات استخدام النبي ﷺ لتلك الأساليب بغرض التعليم، والثاني هو التأكيد على أهمية تلك الأساليب في التعليم، ولكن أبا غدة قد أوردها كإشارات عامة من غير حصر شامل لمثل تلك الإشارات، ولذلك نجد أنه لم يشر للبكاء ولا للحزن ولا التبسم.

الميدان الثالث: الاتصال غير اللفظي في الدراسات التربوية والنفسية المعاصرة

انتبه الباحثون في علم النفس والتربية إلى أهمية أساليب الاتصال غير اللفظية وخاصة الجسمية في التعليم والإعلام وغيرها من الميادين، مما أدى إلى توسيع حركة البحث العلمي في هذا المجال، وقد أورد (ناب وهول) (Knapp & Hall, 1997:28) أسماء عدد من الباحثين الذين يرون أن أي سلوك صفّي تحدث فيه عملية تعليم وتعلم أيا كان مكانه فهو عبارة عن منجم ذهب مهم للغاية لاكتشاف السلوك غير اللفظي. وفي هذه الجزئية سوف نستعرض نماذج من تلك الدراسات:

فللتأكد من إدراك المجموعات البشرية المختلفة لمدلول تعبيرات الوجه تمت المقارنة بين عينتين إحداهما في الهند والأخرى في الولايات المتحدة الأمريكية، واستخدمت أساليب بحثية مختلفة، تم من خلالها عرض نماذج لأربعة عشر وجها تحمل تعبيرات مختلفة، وطلب من أفراد العينتين أن يعزوا

تلك التعبيرات إلى الحالات النفسية المرتبطة بها. وبعد المقارنة والتحليل أفادت النتائج أن هناك تطابقا تاما بين العينتين في تحديدهما للحالات النفسية التي تعبر عنها تلك التعبيرات (Hadit & Keltner, 1999).

وفي دراسة أخرى، تم اختبار قدرة الأطفال على معرفة الدلالات النفسية لبعض تعبيرات الوجه، وذلك باختيار عينات تتراوح أعمارهم بين خمس إلى عشرة سنوات، وعرضت عليهم بعض الأوجه التي تمثل حالتي الخوف والدهشة، فوجد الباحثون أن الأطفال استطاعوا أن يتعرفوا على المدلول النفسي للحالتين، إلا أنه كلما كان الأطفال أكبر سنا، استطاعوا أن يتعرفوا على تلك الحالات بكل يسر (Wanger, 1998).

ومن جانب آخر فقد أوضحت بعض الدراسات أن المتلقي لا يحتاج لتدريب لتفسيره لتلك الأساليب. ففي دراسة (أليبالي وآخرين) (Alibali et al., 1997) تم التأكد من مدى قدرة الكبار غير المدربين على تفسير الإشارات وتمكنهم من تفسير المعلومات التي تحملها إشارات الأطفال اليدوية، وذلك عندما قام عشرون معلما وعشرون طالبا جامعيا بمشاهدة فيلم مسجل لاثني عشر تلميذاً شرحوا فيه طرق حلهم للمسائل الرياضية، بحيث أن ستة منهم عبروا عن استراتيجية واحدة بالكلام وبالإشارة، والستة الآخرين عبروا عن استراتيجيات مختلفة. وأوضحت النتائج أنه بغض النظر عن التدريب فإن الكبار استطاعوا أن يجمعوا معلومات عن تلك الاستراتيجيات من خلال الإشارات اليدوية للأطفال.

وفي دراسة حديثة (باباد وآخرين) (Babad et al.,2003) تم التأكد من فاعلية السلوك غير اللفظي الذي يصدره معلمو المرحلة الثانوية خلال ثوان معدودة، وأثره على الطلاب لإصدار تقديرات تقويمية عن معلميهم، وأوضحت النتائج أن هناك علاقة إيجابية بين السلوك غير اللفظي للمعلمين والتقديرات التقويمية التي يصدرها الطلاب عنهم، ولكن هذه العلاقة تتفاوت قوتها وإيجابيتها في المواقف التعليمية المختلفة.

ولاختبار الأهمية التعليمية لأساليب الاتصال غير اللفظية أجرى (قولدن ميدو وآخرون) (Golden-Meadow et al., 1999) دراسة عن دور الإشارات اليدوية للمعلم في العمليات العقلية لتعلم الرياضيات، حيث تم اختيار ثمانية معلمين لتدريس تسعة وأربعين تلميذا على انفراد، وكل المعلمين استخدموا الإشارات لنقل استراتيجيات حل المشكلة. وهذه الإشارات إما معززة (تتوافق مع الكلام) أو غير معززة (لا تتوافق مع الكلام). وأوضحت النتائج أن التلاميذ استطاعوا أن يكرروا كلام المعلم المتوافق مع الإشارات المعززة، وكانوا أقل قدرة على تكرار الكلام الذي لم تستخدم فيه إشارات. واتضح أن التلاميذ تمكنوا من تجميع معلومات عن استراتيجيات حل المشكلات من خلال إشارات المعلم اليدوية، وتمكنوا من صياغتها بلغتهم الخاصة، ودونوا تلك الملاحظات في دفاترهم، مع أن المعلم لم يذكر الألفاظ ذات الصلة بتلك الاستراتيجيات.

ومن جانب آخر فقد اختبر (فلافيرس وبيري) (Flavers & Perry,2001) بعض طرق الاتصال غير اللفظي المتمثلة في: الإشارات، الصور، والأشكال المجسمة، التي استخدمها ثلاثة معلمون للرياضيات لمدة ثلاث سنوات في الصف الأول، واتضح أن المعلمين يستخدمونها لتمثيل البيانات المجردة وللتأكيد على الكلمات اللفظية المهمة، وعندما يكون الطالب في حالة ارتباك، وعن طريق تلك الطرق استطاع المعلمون أن ينقلوا المعلومات المهمة ويوضحوا المفاهيم الرياضية المجردة.

وعن أهمية التأهيل والتدريب لاستخدام تلك الأساليب، أورد (الصافي، ١٤١٩: ٨٠) أن هناك دراسة قام بها أشرف عبد القادر عام ١٩٩١ عن تأثير التواصل غير اللفظي للمعلم على التحصيل الدراسي للتلاميذ – دراسة مقارنة بين المعلمين المؤهلين تربويا وغير المؤهلين تربويا، وأوضحت نتائجها: أن هناك فروقا بين المعلمين المؤهلين تربويا وغير المؤهلين تربويا في استخدامهم للتواصل غير اللفظي. حيث أشارت إلى أن المعلمين المؤهلين تربويا يستخدمون علامات غير لفظية موجبة (دافئة) أثناء شرح الدرس مثل: استمرارية تواصل العين،

تواتر الابتسامة، إيماءة اليدين (حركة اليد المفتوحة)، قرب المسافة، إيماءة الرأس الموجبة، حركة الجذع للأمام، التلقائية في الحركة، تغيير أوضاع البدن، توجيه النظر بشكل مباشر للتلاميذ، التعبير بصراحة عن الانفعالات، الجلوس بحيث تكون اليدان والرجلان مفتوحتين بشكل معتدل، استخدام اليدين في التحدث، الوقوف باعتدال وفي حالة انتباه، الربت على كتف التلميذ.. بينما يستخدم المعلمون غير المؤهلين تربويا علامات غير لفظية سالبة (باردة) أثناء شرح الدرس مثل: عدم استمرارية تواصل العين، نادرا ما تكون الابتسامة، نادرا ما تحدث إيماءات باليدين، الوقوف باسترخاء، الأوضاع المختلفة للذراعين.. الأوضاع المختلفة للرجلين.

وبالنظر لتلك الدراسات السابقة جميعها نلاحظ أنه لا توجد بينها دراسة مطابقة لموضوع البحث الحالي، ولكنها تتناول بعض أطراف الموضوع، ولذلك فيمكن الاستفادة منها في تفسير النتائج ومناقشتها، وفي ضوئها يمكن تصنيف أنماط الاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي واستنباط وظائفها التعليمية ومعرفة فاعليتها التعلمية.

مصطلحات البحث

١ – الحديث النبوي: الحديث في الاصطلاح؛ "هو كل ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، وكذلك كل ما أضيف إلى الصحابة والتابعين من قول أو فعل"؛ (الطحان وآخرون، ١٩٩٨: ١١٧). فإذا كان هذا التعريف ينطبق على الحديث بصورة عامة، فإن الحديث النبوي الذي نعنيه في هذا البحث: هو كل ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة.

٢ – الاتصال غير اللفظي: هو مصطلح عام يدل على كل مظاهر الاتصال التي تتم بدون استخدام الكلمات اللفظية، ويتضمن: الإشارات، وضع الجسم، تعبيرات الوجه، العوامل المحيطة، وكل المسلمات التي عن طريقها يتم نقل الرسائل، مع استبعاد الجوانب اللفظية؛ (Reber & Reber, 2001:471).

٣ – الوظائف التعليمية للاتصال غير اللفظي: يحقق التواصل الإنساني أغراضا أو وظائف متنوعة. وترتبط هذه الوظائف على نحو وثيق بحاجات الإنسان الفيزيولوجية والنفسية وتحقيق أهدافه المختلفة في الحياة (الجيوسي، ٢٠٠٢: ٣٣)، ومن ضمن تلك الوظائف: الوظائف التعليمية التي تيسر عملية إحداث التعلم وذلك بتضمنها لبعض المدخلات النفسية والتربوية.

٤ – الفاعلية التعلمية للاتصال غير اللفظي: يشير (توبس وموس) (Tubbs & Moss, 1994: 20) إلى أن: فاعلية الاتصال هي عملية الاستقبال والاستجابة التامة للمثير الذي أعده المرسل (المصدر) وأرسله عبر أي من قنوات الاتصال.. ويتم تحديد فاعلية الاتصال إجرائياً عن طريق المعادلة التالية:

$$\text{فاعلية الاتصال} = \frac{\text{المعنى المستقبَل}}{\text{المعنى المرسَل}} = ١$$

وبناء على هذه المعادلة، كلما تمكن المستقبِل من إدراك المعنى المراد من المرسِل بصورة تامة تساوي نسبتها الواحد الصحيح أو تقترب منه، دل ذلك على تمام فاعلية العملية الاتصالية.

وبناء عليه فإن الفاعلية التعلمية للاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي تعني لنا: كل ما استقبله وأدركه الصحابة من عمليات الاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي، وأدى إلى حدوث تعلم يتناسب مع الرسالة التي يحملها الاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي. ويتم التأكد من تلك الفاعلية إذا أظهر المتعلم أياً من نواتج التعلم بعد استقباله للاتصال غير اللفظي. ونواتج التعلم تتمثل في: فهم الحقائق والمفاهيم، تعديل الميول والاتجاهات، وتعلم المهارات والأفعال (قطامي وقطامي، ٢٠٠١).

المنهجية

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي عن طريقه يمكن معالجة مثل هذه الدراسات النظرية التي تتعامل مع النصوص المدونة، وذلك من خلال عملية التحليل الشكلي الكمي، والتحليل النوعي الاستنباطي، وفي ضوء ذلك المنهج أُستخدم أسلوب تحليل المحتوى، وذلك بعد استيفاء ما يتطلبه هذا الأسلوب من إجراءات وأدوات لتحليل النصوص، وذلك كما يلي:

أ – تحديد العينة: تمثل الأحاديث النبوية الشريفة الميدان الرئيس لموضوع البحث، ونسبة لكثرة الأحاديث النبوية، وتنوع درجاتها من حيث الصحة والضعف والوضع، قام الباحث باختيار عينة البحث بصورة عمدية، من الأحاديث النبوية التي استخدم فيها الاتصال غير اللفظي، وتكونت تلك العينة من الأحاديث الصحيحة فقط، الواردة في صحيحي البخاري ومسلم، لما لقياه من قبول عند المسلمين.

ب – تحديد فئات التحليل: يقصد بفئات التحليل العناصر الرئيسية أو الثانوية التي يتم وضع وحدات التحليل فيها سواء كانت الكلمة أو الفكرة الأساسية أو أي قيمة معينة.. وليس هنالك نمطية معينة لتحديد الفئات يمكن أن تتخذ أنموذجاً، بل تفرض أغراض البحث وفروضه نوعية وتصنيفات الفئات المطلوبة (الجزولي والدخيل، ٢٠٠٠: ١٩٦). وفئات التحليل التي تناسب موضوع هذا البحث هي ما يسمى بفئات الشكل، أي: الكيفية التي قيل بها النص أو العناصر الاتصالية غير اللفظية التي استخدمت في تبليغ بعض الرسائل، أو ما يمكن أن نسميه الجوانب المرئية أثناء التحديث النبوي.

ج – وحدات التحليل: تم الاعتماد على استخدام الفكرة الأساسية كوحدة للتحليل، ويقصد بها: رصد وحصر الكلمات التي توضح المضمون الذي من أجله استخدمت، أو توحي الكلمات بمعاني ذات علاقة بالمضمون المستهدف من قبل كاتب الوسيلة(الجزولي والدخيل، ٢٠٠٠: ١٨٧).

والفكرة الأساسية المستهدفة في هذا البحث هي: الاتصال غير اللفظي المستخدمة فيه أعضاء الجسم فقط، وذلك أثناء التحدث النبوي.

د – أداة التحليل: في ضوء الخطوات السابقة وبالاستفادة من أدبيات تحليل المحتوى المختلفة، صمم الباحث أداة لحصر الأحاديث التي استخدم فيها الاتصال غير اللفظي عن طريق الأعضاء الجسمية وحركاتها. وتكونت الأداة من جدول به عمودان كما يلي:

جدول رقم (١)

أداة تحليل محتوى الأحاديث

العضو الجسمي المستخدم في الاتصال	أرقام الأحاديث ومصدرها
الوجه	
اليد	
الوضع الجسمي العام	

هـ – صدق الأداة: تم عرض الأداة على مجموعة من المحكمين من ذوي الاختصاص في العلوم التربوية والنفسية واللغات. وأكد المحكمون صلاحية هذه الأداة لتحليل الأحاديث بما يناسب موضوع البحث، وبلغت نسبة الاتفاق بينهم ١٠٠٪ حول صلاحية الأداة للغرض المحدد لها.

و – إجراءات الدراسة:

تمثلت الخطوات الإجرائية التحليلية التي قام بها الباحث فيما يلي:

١ – قراءة الأحاديث النبوية الواردة في صحيح البخاري كاملة، والتي انفرد بها مسلم عن البخاري كاملة.

٢ – استخراج الأحاديث التي استخدم فيها الاتصال غير اللفظي، وذلك بالاستفادة من فئات التحليل ووحداته، وأداة تحليل المحتوى التي صممت لهذا الغرض. وتم الاكتفاء بحديث واحد وحذف الأخريات المشابهة له في حالة تكرار الأحاديث في الصحيحين.

٣ – أصبح العدد الكلي للأحاديث المستخدم فيها الاتصال الجسمي غير اللفظي (١٩٥) حديثا، من غير تكرار.

٤ – دراسة معاني الأحاديث التي تم تحديدها لفهم محتواها، وذلك بالاستفادة من شرح ابن حجر لأحاديث صحيح البخاري، وشرح النووي لأحاديث صحيح مسلم.

٥ – تصنيف أساليب الاتصال غير اللفظي المستخدمة في تلك الأحاديث، باستخدام أداة التحليل.

٦ – دراسة الأحاديث الممثلة لكل أسلوب من أساليب الاتصال غير اللفظي بصورة منفصلة، لتصنيفها إلى الأنواع الفرعية ضمن ذلك الأسلوب المحدد.

٧ – استنباط الوظائف التعليمية والفاعلية التعلمية لأساليب الاتصال غير اللفظي المستخدمة في الأحاديث النبوية، حيث يعرف الاستنباط " بأنه طريقة من طرق البحث لاستنتاج أفكار ومعلومات من النصوص وغيرها وفق ضوابط وقواعد محددة ومتعارف عليها(يالجن، ١٩٩٩: ٢٢). وفي هذه الخطوة استفاد الباحث من شروح الحديث النبوي، وغيرها من الدراسات التربوية والنفسية ذات الصلة بالموضوع.

حدود البحث:

أُجري البحث وفقا للمحددات التالية:

١ – أجريت الدراسة على الأحاديث النبوية الواردة في صحيحي البخاري ومسلم فقط.

٢ – تم تناول الاتصال غير اللفظي في جانبه الجسمي فقط، واستبعدت الأحاديث التي استخدم فيها الاتصال اللفظي – عن طريق الكلمات – والاتصال غير اللفظي عن طريق الكتابة، والرسم، والعينات والوسائل التعليمية المادية المختلفة.

٣ – اهتم الباحث بالوظائف التعليمية، والفاعلية التعلمية للأحاديث النبوية التي استخدم فيها الاتصال غير اللفظي.

نتائج البحث

بلغ عدد الأحاديث النبوية التي أجري عليها التحليل (١٩٥) حديثا صحيحا، وذلك في ضوء إجراءات الدراسة وحدودها، والجدول رقم (٢) يبين أنواع ونسب الاتصال غير اللفظي في تلك الأحاديث، علما بأن هناك بعض الأحاديث استخدم فيها أكثر من نوع من أنواع الاتصال الجسمي غير اللفظي.

جدول رقم (٢)

أنواع ونسب استخدام الاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي

أسلوب الاتصال غير اللفظي	استخدام الوجه	استخدام اليد	استخدام الجسم	مجموع الاستخدامات
عدد مرات الاستخدام في الأحاديث المحددة	١٠١	٨٣	٢٦	٢١٠
نسبة الاستخدام في الأحاديث المحددة	٤٨,١٪	٣٩,٥٪	١٢,٤٪	١٠٠٪

والنتائج التالية تمثل ما أسفر عنه التحليل لعينة الأحاديث النبوية الصحيحة التي تمت دراستها للإجابة عن أسئلة البحث، وذلك فيما يتعلق بأساليب الاتصال الجسمية غير اللفظية في الأحاديث النبوية، والوظائف التعليمية والفاعلية التعلمية لتلك الأساليب، وذلك كما يلي:

أولاً: أساليب الاتصال الجسمية غير اللفظية في الحديث النبوي:

اتضح أن هناك ثلاثة أنماط عامة للاتصال الجسمي غير اللفظي في الحديث النبوي، وذلك بناء على الأعضاء الجسمية المرتبطة بها وهي: التعبير بالوجه، استخدام اليد، وتغيير الوضع الجسمي العام.

أ – التعبير بالوجه

يعتبر الباحثون في الاتصال غير اللفظي أن الوجه الإنساني يمثل قناة للتواصل الاجتماعي (Smith & Scott, 1998)، ويتم ذلك التواصل من خلال تعبيرات الوجه المختلفة. ويمكن تعريف التعبير بالوجه باعتباره: أي حركة جزئية أو كلية تطرأ على الوجه، وتحدث تغييرا في هيئته الشكلية العامة، بما في ذلك الحواس التي يحملها الوجه، وترتبط بحالة نفسية داخلية (سليمان، ٢٠٠٣: ٢٧).

وقد تبين أن هناك ستة أشكال لتعبيرات الوجه تم استخدامها في الاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي وهي: التبسم والضحك، الاتصال البصري، تغير هيئة الوجه، تغير لون الوجه، البكاء، والصمت.

١- – التبسم والضحك:

التبسم سلوك غير لفظي يبديه المولود منذ مراحل نموه الأولى، حيث تظهر الابتسامة على وجوه الأطفال منذ الشهر الأول للميلاد، وتتطور إلى الضحك في الشهر الرابع. والضحك هو سلوك حركي عضلي، تؤديه عضلات الوجه في تحركها وتجمعها في أوضاع معينة، ويبدو من خلال تحريك الشفتين ومستوى فتح الفم، وتحريك الوجنتين، وتجميع العضلات المحيطة بالعينين، والعضلات التي تغطي الجبهة، وقد يصاحبه صوت(سليمان، ٢٠٠٣: ٥٦). ويختلف التبسم عن الضحك في صدور ذلك الصوت، وفي نوعية وكمية حركة عضلات الوجه. وتشير بعض الدراسات الحديثة إلى أن الكبار يضحكون حوالي ثمان عشرة مرة في اليوم الواحد، بلا وجود للفروق النوعية بين الذكور والإناث (Martin,2000). والضحك تعبير اجتماعي يختفي عندما يكون الأفراد في عزلة عن بعضهم البعض (Provine,1998).

وقد ورد استخدام الاتصال غير اللفظي عن طريق التبسم والضحك في الخطاب النبوي بتنوع شديد وذلك من حيث نوع الضحك، وموقع الضحك أثناء

الخطاب، والفئة المستهدفة بالضحك، والأمثلة على ذلك كثيرة سوف نعرض جزءا منها من خلال العرض التالي:

نوع الضحك: نوعية الضحك تراوحت بين التبسم والضحك حتى ظهور الأنياب، فقد ورد التبسم البسيط في عدد من الأحاديث ومنها: عندما سمعت الأنصار بأن هناك أموال أتي بها إلى النبي ﷺ حضروا مبكراً: فَلَمَّا صَلَّى بِهِمُ الْفَجْرَ، انْصَرَفَ فَتَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ.. (البخاري، ١٩٩٨: ح ٣١٥٨).

وأحيانا نجد أن النبي ﷺ يضحك حتى تبدو أنيابه: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: هَلَكْتُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: "وَمَا أَهْلَكَكَ؟". قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ، قَالَ: "هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً؟". قَالَ: لا، قَالَ: "فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ ". قَالَ: لا. قَالَ: "فَهَلْ تَجِدُ مَا تُطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟". قَالَ: لا. قَالَ: ثُمَّ جَلَسَ، فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ، فَقَالَ: "تَصَدَّقْ بِهَذَا". قَالَ: أَفْقَرَ مِنَّا؟ فَمَا بَيْنَ لابَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: "اذْهَبْ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ"؛ (مسلم، ١٩٩٨: ح ١١١١).

موقع الضحك أثناء الخطاب: قد يكون الضحك سابقا للحديث اللفظي، أو أثناءه، أو بعده، فمن أمثلة الضحك الذي ورد قبل الحديث اللفظي: عَنْ أَنَسٍ قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: "أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ ". فَقَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ (مسلم، ١٩٩٨: ح ٤٠٠).

وأحيانا نجد الضحك يتخلل الحديث اللفظي كما في هذا الحديث: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِي اللَّه عَنْهما: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " إِنِّي لأَعلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا

مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا أَوْ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي، أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ. "فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ وَكَانَ يَقُولُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً (البخاري، ١٩٩٨: ح ٦٥٧١).

وأحيانا يكون الضحك بعد الحديث اللفظي: فعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: لـمَّا حَاصَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّائِفَ، فَلَمْ يَنَلْ مِنْهُمْ شَيْئًا، قَالَ: " إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ". فَثَقُلَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: نَذْهَبُ وَلا نَفْتَحُهُ، وَقَالَ مَرَّةً: "نَقْفُلُ". فَقَالَ: "اغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ". فَغَدَوْا فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ، فَقَالَ: "إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ". فَأَعْجَبَهُمْ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ (البخاري، ١٩٩٨: ح ٤٣٢٥).

الفئة المستهدفة بالضحك: استخدم الضحك في الخطاب النبوي مع فئات مختلفة، من حيث النوع: ذكور وإناث، ومن حيث الكمية: أفراد ومجموعات، ومن حيث النمو: أطفال وراشدين، وللدليل على ذلك نورد الأحاديث التالية:

الضحك مع المجموعة: عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الاثْنَيْنِ، وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلاةِ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ سِتْرَ الْحُجْرَةِ، يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ، كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ مِنَ الْفَرَحِ بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ (البخاري، ١٩٩٨: ح ٦٨٠).

التبسم مع الفرد: عَنْ جَرِيرٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلا رَآنِي إِلا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي... (البخاري١٩٩٨: ح ٣٠٣٥).

الضحك مع الصغير: قَالَ أَنَسٌ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ! لا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ،

فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: "يَا أُنَيْسُ! أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟". قال قلت: نعم، أنا أذهب، يا رسول الله. (مسلم، ١٩٩٨: ح٢٣٠٩).

الضحك مع الكبير: أنه عندما اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاءِ اللاتِي كُنَّ عِنْدِي، فلمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ". قال عُمَرُ: فأنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ (البخاري، ١٩٩٨: ح ٣٢٩٤).

الضحك مع المرأة: يروي أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ دخل يوماً على أم حرام بنت ملحان: فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ – أي أم حرام – فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ.. (البخاري، ١٩٩٨:ح ٢٧٨٩).

٢ – الاتصال البصري

الاتصال البصري هو نوع من السلوك غير اللفظي الذي تلعب فيه العيون دورا رئيسا، من خلال توجيهها إلى أهداف محددة، ويرى الباحثون أن لنظرات العيون وظائف اتصالية وتعبيرية، ومنها دورها التعبيري عن الانفعالات (Knapp & Hall, 1997: 373). وقد استخدمت العيون في الاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي مع فئات مختلفة (ذكور وإناث) وبأشكال مختلفة منها: توجيه النظرة المستمرة، تصعيد النظر لفترة وجيزة، والنظرات المتتالية غير المستمرة (الرمق)، وفي ما يلي أمثلة على ذلك:

الاتصال البصري عن طريق النظرة المستمرة: عَنْ أَنَسٍ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَقَالَ: " انْثُرُوهُ فِي الْمَسْجِدِ ". فَكَانَ أَكْثَرَ مَالٍ أُتِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذْ جَاءَهُ الْعَبَّاسُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطِنِي إِنِّي فَادَيْتُ نَفْسِي

وَفَادَيْتُ عَقِيلا. قَالَ: "خُذْ". فَحَثَا فِي ثَوْبِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَالَ: أْمُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعْهُ إِلَيَّ. قَالَ: "لا". قَالَ: فَارْفَعْهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قَالَ: "لا" فَنَثَرَ مِنْهُ ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ فَلَمْ يَرْفَعْهُ، فَقَالَ: فَمُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعْهُ عَلَيَّ، قَالَ: "لا". قَالَ: فَارْفَعْهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قَالَ: "لا". فَنَثَرَ مِنْهُ ثُمَّ احْتَمَلَهُ عَلَى كَاهِلِهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ فَمَا زَالَ يُتْبِعُهُ بَصَرَهُ حَتَّى خَفِيَ عَلَيْنَا، عَجَبًا مِنْ حِرْصِهِ (البخاري، ١٩٩٨: ح ٣١٦٥).

الاتصال البصري عن طريق تصعيد النظر: أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُ لأَهَبَ لَكَ نَفْسِي، فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَعَّدَ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ، ثُمَّ طَأْطَأَ رَأْسَهُ فَلَمَّا رَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ.. (البخاري ١٩٩٨: ح ٥٠٣٠).

الاتصال البصري عن طريق النظرات المتباعدة (الرمق): وفي جزء من حديث لجابر بن عبد الله، يقول: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ، وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ ذَهَبْتُ أَنْ أُخَالِفَ بَيْنَ طَرَفَيْهَا فَلَمْ تَبْلُغْ لِي، وَكَانَتْ لَهَا ذَبَادِبُ فَنَكَّسْتُهَا ثُمَّ خَالَفْتُ بَيْنَ طَرَفَيْهَا، ثُمَّ تَوَاقَصْتُ عَلَيْهَا.. فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْمُقُنِي وَأَنَا لا أَشْعُرُ، ثُمَّ فَطِنْتُ بِهِ، فَقَالَ هَكَذَا، بِيَدِهِ يَعْنِي شُدَّ وَسَطَكَ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يَا جَابِرُ!" قُلْتُ: لَبَّيْكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: "إِذَا كَانَ وَاسِعًا فَخَالِفْ بَيْنَ طَرَفَيْهِ وَإِذَا كَانَ ضَيِّقًا فَاشْدُدْهُ عَلَى حَقْوِكَ"؛ (مسلم١٩٩٨: ح ٣٠١٠).

٣ – تغيير هيئة الوجه

تغيير هيئة الوجه تتمثل في تغير وضع عضلات الوجه حول الفم، والخدين، وحول العيون والجبين، ونجد بعض الصحابة الذين شاهدوا الرسول ﷺ أشاروا إلى تغييرات في وجهه الشريف ودلتهم تلك التغييرات على حالات نفسية مختلفة، ولذلك وصفوا تلك التغييرات على حسب دلالاتها النفسية، مثل الكراهية: فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّه عَنْه قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ خِلافَهَا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ.. (البخاري١٩٩٨:ح ٣٤٧٦). ومثل الحزن: فعن عَمْرَةُ قَالَتْ: سَمِعْتُ

عَائِشَةَ رَضِي اللَّه عَنْهاَ قَالَتْ: لَمَّا جَاءَ النَّبِيَّ ﷺ قَتْلُ ابْنِ حَارِثَةَ وَجَعْفَرٍ وَابْنِ رَوَاحَةَ، جَلَسَ يُعْرَفُ فِيهِ الْحُزْنُ.. (البخاري١٩٩٨: ح ١٢٩٩).

ومثل التمعر: عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ (مسلم١٩٩٨: ح ١٠١٧). ومعنى تمعر وجه النبي ﷺ أي تغير، وأصله في الشجر إذا قل ماؤه فصار قليل النضرة عديم الإشراق، ويقال للوادي المجدب أمعر (ابن حجر، ٢٠٠٠١، ج٥: ٩٩).

٤ – تغير لون الوجه

أشار رواة الحديث النبوي إلى بعض التغيرات اللونية التي كانت تظهر على وجه رسول الله ﷺ، مثل: الإشراق، والبرق، والتهلل، والابيضاض، والاحمرار، وبالرجوع للمعاني اللغوية لتلك الأوصاف نجد أنها تتمحور حول لونين رئيسين هما الأبيض والأحمر والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

أ – ابيضاض الوجه: حالة ابيضاض الوجه ذكرها الصحابة بعدة كلمات دالة عليها، ومنها الابيضاض ذاته: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إِنَّ أَوَّلَ صَدَقَةٍ بَيَّضَتْ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَوُجُوهَ أَصْحَابِهِ صَدَقَةُ طَيِّئٍ (مسلم، ١٩٩٨: ح٢٥٢٣).

ومن ضمن هذه المجموعة نجد لون البرق للدلالة على ابيضاض الوجه: فعن عَبْد اَللَّهِ بْنَ كَعْبٍ قَالَ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ (البخاري ١٩٩٨: ح ٣٥٥٦).

ومن ضمن الألوان البيضاء: التهلل الدال على ابيضاض الوجه، فقد وصف أحد الصحابة تلك الحالة اللونية على وجه الرسول ﷺ عندما استجاب الصحابة للتصدق على بعض أهل الفاقة، فقال: (حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ

ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ) (مسلم، ١٩٩٨: ح ١٠١٧)، ومعنى يتهلل: أي يستنير فرحا وسرورا (النووي، ٢٠٠٠، مج٤، ج٧: ٩١)، ومعنى مذهبة: ذكر في تفسيرها وجهان أحدهما: معناه فضة مذهبة، فهو أبلغ في حسن الوجه وإشراقه. والثاني: شبهه في حسنه ونوره بالمذهبة من الجلود وجمعها مذاهب وهي شيء كانت العرب تصنعه من جلود وتجعل فيها خطوطا مذهبة يرى بعضها أثر بعض؛ (النووي، ٢٠٠٠، مج٤، ج٧: ٩٢).

ومن ضمن الألوان البيضاء الإشراق: فعن ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ مَشْهَدًا، لأَنَ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: لا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ﴾ (المائدة:٢٤) وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ. فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ يَعْنِي: قَوْلَهُ (البخاري١٩٩٨: ح ٣٩٥٢).

ب – احمرار الوجه: ورد ذكر هذا اللون في أحاديث كثيرة منها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ اللُّقَطَةِ، فَقَالَ: "اعْرِفْ وِكَاءَهَا، أَوْ قَالَ وِعَاءَهَا، وَعِفَاصَهَا، ثُمَّ عَرِّفْهَا سَنَةً، ثُمَّ اسْتَمْتِعْ بِهَا، فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ". قَالَ: فَضَالَّةُ الإِبِلِ؟ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، أَوْ قَالَ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: " وَمَا لَكَ وَلَهَا، مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا، تَرِدُ الْمَاءَ وَتَرْعَى الشَّجَرَ، فَذَرْهَا حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا" (البخاري، ١٩٩٨: ح ٩١).

وورد احمرار الوجه من خلال التشبيه التالي: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قسم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قسماً، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنّهاَ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النبي ﷺ فساررته، فغضب من ذلك غضبا شديدا، واحمر وجهه. وفي رواية أخرى، قَالَ فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ (مسلم، ١٩٩٨: ح ١٠٦٢)، والصرف هو صبغ أحمر يصبغ به الجلود. قال ابن دريد: وقد يسمى الدم أيضا صرفا (النووي، ٢٠٠٠، مج٤، ج٧: ١٤٠).

٥ – البكاء

البكاء هو سلوك إنساني، يقوم به الإنسان منذ خروجه من الرحم مباشرة، ويرى الباحثون أن البكاء يلعب دورا اتصاليا من خلال التفاعل بين الباكي ومن حوله (Vingerhoets et al.,2000). وقد استخدم البكاء كتعبير بالوجه أثناء الحديث النبوي، ووصفه رواة الأحاديث بألفاظ مختلفة مثل: فيض الدمع، ذرف العيون، والبكاء، وحدث البكاء أثناء الاستماع لتلاوة القرآن الكريم، وفي بعض المواقف المؤلمة:

البكاء أثناء تلاوة القرآن: عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: "اقْرَأْ عَلَيَّ". قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: " فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي". فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى بَلَغْتُ (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا). قَالَ: "أَمْسِكْ ". فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ (البخاري١٩٩٨:ح ٤٥٨٢).

البكاء في المواقف المؤلمة مثل: موت الصغار: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَال : دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.. وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ.، (البخاري، ١٩٩٨: ح ١٣٠٣). ولموت الكبار: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: " أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْد اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ، وَقَالَ: مَا يَسُرُّنَا أَنَّهُمْ عِنْدَنَا ". قَالَ – الراوي – وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ. (البخاري، ١٩٩٨: ح ٢٧٩٨)، ومن البكاء المرتبط بالموت ذلك الذي حدث أثناء زيارة القبور: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ.. (مسلم، ١٩٩٨: ح ٩٧٦).

٦ – الصمت

استخدم التعبير غير اللفظي عن طريق الصمت في بعض المواقف أثناء التحديث اللفظي:فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ أَكْثَرَ مَا

أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ ". قِيلَ: وَمَا بَرَكَاتُ الأَرْضِ؟ قَالَ: " زَهْرَةُ الدُّنْيَا ". فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: هَلْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَصَمَتَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَ يَمْسَحُ عَنْ جَبِينِهِ، فَقَالَ: " أَيْنَ السَّائِلُ " (البخاري، ١٩٩٨: ح ٦٤٢٧).

ب – استخدام اليد

استخدمت اليد في الاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي في مواقف تعليمية مختلفة، ويمكن تصنيف استخدامات اليد بناء على قربها من المعنى المراد إلى ثلاثة أنواع هي: اللمس المباشر، الإشارة إلى المعلوم، والتعبير الرمزي عن معنى مجرد، وذلك كما يلي:

١ – اللمس

وهو نوع من الاتصال باليد يتم مباشرة بين يد المعلم وبعض الأجزاء في جسم المتلقي، وله كيفيات مختلفة هي:

مسك يد المتلقي: عن ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ، التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ.. (البخاري، ١٩٩٨: ح ٦٢٦٥). والأخذ باليد هو مبالغة المصافحة وذلك مستحب عند العلماء (ابن حجر، ٢٠٠١، ج١١: ٥٩).

أخذ منكب المتلقي: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ" (البخاري، ١٩٩٨: ح ٦٤١٦).

الضرب باليد على جزء من جسم المتلقي: عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّه عَنْه قَالَ: وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ إِنِّي لا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ: "اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا"؛ (البخاري، ١٩٩٨: ح٣٠٣٦).

وضع اليد على جسم المتلقي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ – آية رقم ٣ – قَالَ قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلاثًا، وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: "لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ أَوْ رَجُلٌ مِنْ هَؤُلاءِ" (البخاري، ١٩٩٨: ح ٤٨٩٨).

الطعن بالأصبع في جسم المتلقي: عن عمر بن الخطاب قال: مَا رَاجَعْتُ رَسُولَ ﷺ فِي شَيْءٍ مَا رَاجَعْتُهُ فِي الْكَلالَةِ، وَمَا أَغْلَظَ لِي فِي شَيْءٍ مَا أَغْلَظَ لِي فِيه ِ، حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ: "يَا عُمَرُ، أَلا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ"؛ (مسلم، ١٩٩٨: ح ١٦١٧).

المسح باليد على جزء من جسم المتلقي: عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلاةَ الأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي، قَالَ فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ (مسلم، ١٩٩٨: ح ٢٣٢٩).

٢ – الإشارة إلى الأشياء المحسوسة

وهو نوع من الاتصال غير اللفظي الذي استخدمت فيه اليد لتشير إلى المعالم الواضحة، أو الجهات المعلومة، أو الأعضاء الجسمية، أو بعض الأشياء المرئية للآخرين، ومن الأمثلة على ذلك الإشارة إلى الأماكن المعلومة: فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِي اللَّه عَنْه يَقُولُ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ أَخْدُمُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ رَاجِعًا وَبَدَا لَهُ أُحُدٌ، قَالَ: " هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ ". ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ.. (البخاري١٩٩٨: ح ٢٨٨٩).

ومنها الإشارة إلى أعضاء الجسم، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّه عَنْهمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ، عَلَى الْجَبْهَةِ – وَأَشَارَ بِيَدِهِ

عَلَى أَنْفِهِ – وَالْيَدَيْنِ، وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ، وَلا نَكْفِتَ الثِّيَابَ وَالشَّعَرَ" (البخاري، ١٩٩٨: ح ٨١٢).

٣ – الإشارة الرمزية التعبيرية

وهي عبارة عن حركات باليد أو أصابع اليد للتعبير التمثيلي الرمزي عن معنى مجرد، وهذا النوع استخدم بكثرة مصاحبا للقول اللفظي وموضحا له، أو بديلا عنه، فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الأَنْصَارِ؟". قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " بَنُو النَّجَّارِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، بَنُو عَبْدِ الأَشْهَلِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ بَنُو سَاعِدَةَ " . ثُمَّ قَالَ: بِيَدِهِ فَقَبَضَ أَصَابِعَهُ، ثُمَّ بَسَطَهُنَّ كَالرَّامِي بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: " وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ"؛ (البخاري، ١٩٩٨: ح ٥٣٠٠). ويذكر ابن حجر أن المقصود من قوله: "ثم قال بيده فقبض أصابعه ثم بسطهن كالرامي بيده" ففيه استعمال الإشارة المفهمة مقرونة بالنطق (ابن حجر، ٢٠٠١، ج٩: ٣٥١).

ومن أمثلة الأحاديث التي ورد فيها استخدام تلك الإشارة في التعبير الرمزي عن المعاني المجردة ما يلي: عَنْ سَهْلٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا " وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا (البخاري، ١٩٩٨: ح ٥٣٠٤). وعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِك، أَنَّهُ كَانَ لَهُ مَالٌ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَدْرَدٍ الأَسْلَمِيِّ، فَلَقِيَهُ فَلَزِمَهُ، فَتَكَلَّمَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَمَرَّ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "يَا كَعْبُ" فَأَشَارَ بِيَدِهِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ النِّصْفَ، فَأَخَذَ نِصْفًا مِمَّا عَلَيْهِ وَتَرَكَ نِصْفًا (مسلم، ١٩٩٨: ح ١٥٥٨). وعن أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا" وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ (البخاري، ١٩٩٨: ح ٤٨١).

ج – استخدام الحركات الجسمية العامة

استخدمت الحركات الجسمية العامة التي تتم من خلال تغيير وضع الجسم في الاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي، ومثال ذلك: القيام، تعديل وضع الجسم، الإقبال، الإعراض، ورفع الرأس وتنكيسه، والأمثلة على ذلك هي:

١ – القيام: عَنْ أَنَسٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: رَأَى النَّبِيُّ (النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ مُقْبِلِيَن – قَالَ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ – مِنْ عُرُسٍ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مُمْثِلا فَقَالَ: "اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ". قَالَهَا ثَلاثَ مِرَارٍ (البخاري، ١٩٩٨: ح ٣٧٨٥). وقام ممثلا: معناه قائما منتصبا (النووي٢٠٠٠، مج٨، ج١٦: ٥٦).

٢ – تعديل وضع الجسم: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ". ثَلاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " الإِشْرَاكُ بِاللَّه، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ – وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ – أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ". قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ؛ (البخاري، ١٩٩٨: ح ٢٦٥٤).

٣ – الإقبال: وهو تحريك الجسم عامة والوجه خاصة بصورة كاملة تجاه المخاطبين، ويحدث عن ذلك اتصال بصري بين المعلم والمتعلم: عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: "هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمُ الْبَارِحَةَ رُؤْيَا"؛ (مسلم، ١٩٩٨: ح٢٢٧٥). ويتم الإقبال عن طريق الالتفات تجاه المخاطبين، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ قُلْنَا: السَّلامُ عَلَى جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، السَّلامُ عَلَى فُلانٍ وَفُلانٍ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ.. (البخاري، ١٩٩٨: ح٨٣١).

٤ – الإعراض: وهو نوع من التجنب البصري ولكن يتم بعد تحريك الجسم في اتجاه بعيد عن جهة المخاطب، فقد أَتَى رَجُلٌ مِنْ أَسْلَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الآخِرَ قَدْ زَنَى، يَعْنِي نَفْسَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَتَنَحَّى لِشِقِّ وَجْهِهِ الَّذِي أَعْرَضَ قِبَلَهُ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ الآخِرَ قَدْ زَنَى، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَتَنَحَّى لِشِقِّ وَجْهِهِ الَّذِي أَعْرَضَ قِبَلَهُ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ: فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَتَنَحَّى لَهُ الرَّابِعَةَ، فَلَمَّا شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ دَعَاهُ فَقَالَ: "هَلْ بِكَ جُنُونٌ". قَالَ: لا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "اذْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ". وَكَانَ قَدْ أُحْصِنَ (البخاري، ١٩٩٨: ح٥٢٧١).

٥ – رفع الرأس وتنكيسه: عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ، قَالَ: وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلا أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا،

فَقَالَ..(البخاري، ١٩٩٨: ح ١٢٣). وعَنْ عَلِيٍّ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَعَدَ، وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَّسَ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ.. (البخاري، ١٩٩٨: ح١٣٦٢).

ثانياً: الوظائف التعليمية للاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي

إن تنوع أساليب الاتصال غير اللفظية التي تمت عن طريق تعبيرات الوجه واستخدام اليد والجسم في الحديث النبوي أدى إلى قيامها بوظائف تعليمية مختلفة تمثلت في: التهيئة والاستعداد، التفاعل التربوي، نقل الرسائل الوجدانية، نقل الرسائل المعرفية (المعاني)، والتوجيهات العملية المباشرة.

١ – التهيئة والاستعداد

التهيئة تتضمن توفير منظمات تمهيدية أو مدخل للدرس (جابر، ٢٠٠٠: ٥٠)، ولا يستطيع المعلم القيام بذلك إلا إذا امتلك مهارة التهيئة الذهنية. ومهارة التهيئة الذهنية المقصود بها جذب انتباه التلاميذ على المادة التعليمية الجديدة واندماجهم في الأنشطة الصفية واستثارة دافعيتهم للتعلم مما يساعد المعلم في ضمان استمرار النشاط الذهني لتلاميذه طوال الحصة وقابليتهم على تقبل الأفكار التي يتضمنها الدرس، أضف إلى ذلك تشوقهم للدرس وإقبالهم عليه واستيعاب المعلومة بسهولة ويسر (الخطايبة وآخرون، ٢٠٠٢: ٤٠)، وقد لعبت أساليب الاتصال الجسمية غير اللفظية دورا كبيرا في تحقيق التهيئة والاستعداد للتعلم، ونلاحظ ذلك من خلال استجابات المخاطبين للأساليب غير اللفظية المختلفة، والأمثلة التالية تبين الدليل على ذلك:

ففي الحديث: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ". ثَلاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ – وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ – أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ". قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَت؛ (البخاري، ١٩٩٨: ح ٢٦٥٤). وقد علق ابن حجر على قوله: (وجلس وكان متكئا) يُشعر بأنه

اهتم بذلك حتى جلس بعد أن كان متكئا، ويفيد ذلك تأكيد تحريمه وعظم قبحه (ابن حجر، ٢٠٠١، ج٥: ٣١١). فتغيير الوضع الجسمي أثناء الحديث يهيئ المتلقين ويلفت انتباههم لأهمية الفقرة التالية.

ونلاحظ أن صمت النبي ﷺ لفت انتباه الصحابة رضوان الله عليهم إلى توقع الإجابة عن السؤال، وكأنما هناك وحي منزل عليه ﷺ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ". قِيلَ: وَمَا بَرَكَاتُ الأَرْضِ؟ قَالَ: "زَهْرَةُ الدُّنْيَا". فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: هَلْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَصَمَتَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَ يَمْسَحُ عَنْ جَبِينِهِ، فَقَالَ: "أَيْنَ السَّائِلُ" (البخاري، ١٩٩٨: ح ٦٤٢٧). ونلاحظ أن هذا الصمت المفاجئ أثناء الحديث هيأ الصحابة لتلقي الإجابة ويتضح ذلك من قولهم: حتى ظننا أنه ينزل عليه، وقد ذكر ابن حجر عددا من الفوائد من هذا الحديث ومن تلك الفوائد ما يرتبط بالتهيئة والاستعداد، حيث قال: ويستفاد منه ترك العجلة في الجواب إذا كان يحتاج إلى التأمل (ابن حجر، ٢٠٠١، ج١١: ٢٥٣).

وقد أدى استخدام اللمس المباشر عن طريق مسك يد المتلقي لتهيئته ولفت انتباهه للتعلم: فعن ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ، التَّشَهُّدَ، كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ.. (البخاري، ١٩٩٨: ح ٦٢٦٥). فتأكيد الصحابي لمسك اليد، وتذكره للموقف التعليمي، وذكره لكلمة " عَلَّمَنِي " يدل على أهمية ذلك اللمس في تهيئته للتعلم.

٢ – التفاعل التربوي

يطلق على جميع الأنشطة المتبعة من قبل المعلم والطلاب لاستمرار الاتصال بالتفاعل الصفي (الخطايبة وآخرون، ٢٠٠٢: ١٤٩)، ويسمى أحيانا بالتفاعل التعليمي، ويسمى بالتفاعل التربوي، لكن مضمونه لا يختلف كثيرا. ويرى (قطامي وقطامي٢٠٠١: ١٩) أن هذا التفاعل الصفي يمثل جزءا من الاستراتيجية التعليمية التعلمية وهي: جملة من الأساليب أو الطرائق

المستخدمة في مواقف التعليم والتعلم. وتتضمن الاستراتيجية التعليمية جملة من المبادئ والقواعد والطرائق والأساليب المتداخلة التي توجه إجراءات المعلم في سعيه لتنظيم خبرات التعلم الصفي وتحقيق النتاجات المرصودة.

ولعبت أساليب الاتصال غير اللفظية في الحديث النبوي دورا في تحقيق التفاعل التربوي، وذلك بجعل المتلقين يسألون عن الداعي لذلك السلوك غير اللفظي، الذي قد يرد قبل بدء الحديث أو أثناءه: فعن أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رَضِي اللَّه عَنْهمَا قَالَ: أَرْسَلَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ: إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ فَأْتِنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلامَ، وَيَقُول: " إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ ". فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ: سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرِجَالٌ فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ، قَالَ: حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ كَأَنَّهَا شَنٌّ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: "هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ"؛ (البخاري١٩٩٨: ح ١٢٨٤). ففي هذا الحديث نلاحظ تساؤل سعد رضي الله عنه نتيجة لملاحظته لذلك السلوك غير اللفظي المتمثل في فيض عيون النبي ﷺ بالدمع، وهذا يمثل تفاعلا تربويا ثريًّا بين المعلم والمتعلم. ولذلك نجد من ضمن الفوائد التي أوردها ابن حجر عندما شرح هذا الحديث قوله: وفيه.. استفهام التابع من إمامه عما يشكل عليه مما يتعارض ظاهره؛ (ابن حجر٢٠٠١، ج٣: ١٨٨).

وقد جاء في الحديث عَنْ أَنَسٍ قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: "أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ". فَقَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ (مسلم، ١٩٩٨: ح ٤٠٠). نلاحظ في هذا الحديث (التفاعل التربوي المتمثل في التساؤل الصاعد من المتلقين إلى المربي نتيجة لملاحظتهم

للسلوك غير اللفظي المتمثل في الضحك، وقد قال النووي: من فوائد هذا الحديث.. أنه إذا رأى التابع من متبوعه تبسما أو غيره مما يقتضي حدوث أمر يستحب له أن يسأل عن سببه؛ (النووي٢٠٠٠، مج٢، ج٤: ٩٧).

ومن أجمل صور التفاعل التربوي ذلك الذي يتم بين الكبار والصغار، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْه قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي سُوقٍ مِنْ أَسْوَاقِ الْمَدِينَةِ، فَانْصَرَفَ فَانْصَرَفْتُ فَقَالَ: " أَيْنَ لُكَعُ – ثَلاثًا – ادْعُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ". فَقَامَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَمْشِي وَفِي عُنُقِهِ السِّخَابُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَقَالَ الْحَسَنُ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَالْتَزَمَهُ فَقَالَ: " اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ"؛ (البخاري، ١٩٩٨: ح ٥٨٨٤). فالحركة اليدوية من الرسول ﷺ استجاب لها الحسن – وهو صغير – بحركة مثلها.

ويمكن الاستدلال على حدوث التفاعل التربوي من خلال الاستجابة القوية من المتعلم للمعلم، والمتمثلة في شدة الانتباه، ولذلك نلاحظ أن السلوك غير اللفظي ساعد في تحقيق هذا الانتباه، كما في المشهد التالي: عن أَنَس رَضِيَ اللَّه عَنْه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: " إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ شُفِّعْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ خَرْدَلَةٌ، فَيَدْخُلُونَ، ثُمَّ أَقُولُ: أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى شَيْءٍ ". فَقَالَ أَنَسٌ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (البخاري، ١٩٩٨: ح ٧٥٠٩)، يعني قوله أدنى شيء وكأنه يضم أصابعه ويشير بها (ابن حجر، ٢٠٠١، ج١٣: ٤٨٣). وهذا يبيّن شدة الانتباه إلى ذلك السلوك غير اللفظي المتمثل في حركة أصابع النبي ﷺ.

٣ – نقل الرسائل الوجدانية

يستخدم الاتصال غير اللفظي عن طريق الجسد للتعبير عن الجوانب الأكثر حقيقية من ذواتنا، من مشاعرنا وانفعالاتنا وحاجاتنا واتجاهاتنا (ويلسون، ٢٠٠٠: ١٦٧)، وقد لعب الاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي دورا كبيرا في نقل الرسائل الوجدانية، ولذلك نجد الصحابة استنتجوا من خلال مشاهدتهم لتلك التعبيرات غير اللفظية الانفعالات التالية:

أ – السرور والفرح: ورد عن كعب بن مالك، قَالَ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ؛ (البخاري، ١٩٩٨: ح ٣٥٥٦). فقول هذا الصحابي كان ﷺ إذا سُرّ استنار وجهه، وكنا نعرف ذلك منه، يدل على أن الرسول ﷺ استخدم ذلك الاتصال غير اللفظي – استنارة الوجه – في نقل تلك الرسالة الوجدانية وهي السرور.

وعن ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ مَشْهَدًا، لأَنَ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: لا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ﴾ – المائدة: ٢٤ – وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ. فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ، يَعْنِي: قَوْلَهُ (البخاري، ١٩٩٨: ح٣٩٥٢). فإشراق وجهه ﷺ حمل رسالة تم استيعابها بسرعة، حيث دل ذلك الإشراق على السرور. ونلاحظ ذلك أيضا من خلال بروق أسارير الوجه، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيَّ مَسْرُورًا تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ (البخاري، ١٩٩٨: ح ٦٧٧٠).

ب – الحياء: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: " كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ" (البخاري، ١٩٩٨: ح٦١٠٢). وعَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنصَارِ، قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: كَيْفَ أَغْتَسِلُ مِنَ الْمَحِيضِ؟ قَالَ: " خُذِي فِرْصَةً مُمَسَّكَةً، فَتَوَضَّئِي ثَلاثًا". ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَحْيَا، فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ، أَوْ قَالَ: "تَوَضَّئِي بِهَا" فَأَخَذْتُهَا فَجَذَبْتُهَا، فَأَخْبَرْتُهَا بِمَا يُرِيدُ النَّبِيُّ ﷺ؛ (البخاري، ١٩٩٨: ح ٣١٥). دل هذان الحديثان على أن الرسول ﷺ لم يستخدم اللغة اللفظية في نقل تلك الرسالة الوجدانية المتمثلة في انفعال الحياء، وإنما عن طريق تعبيرات الوجه والإعراض فهم الصحابة المراد من ذلك السلوك. ولذلك قال النووي في تعليقه على الحديث الأول: ومعنى عرفنا الكراهية في

وجهه أي لا يتكلم به لحيائه بل يتغير وجهه فنفهم نحن كراهيته (النووي، ٢٠٠٠، مج٨، ج١٥: ٦٣).

ج – التعجب: "عن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ قالت: جاءت امرأة رفاعة القرظي رسول الله ﷺ وأنا جالسة، وعنده أبو بكر، فقالت: يا رسول الله، إني كنت تحت رفاعة فطلقني فبتّ طلاقي، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير، وإنه والله ما معه يا رسول الله إلا مثل هذه الهدبة، وأخذت هدبة من جلبابها، فسمع خالد بن سعيد قولها وهو بالباب لم يؤذن له، قالت: فقال خالد: يا أبا بكر، ألا تنهى هذه عما تجهر به عند رسول الله ﷺ؟ فلا والله ما يزيد رسول الله ﷺعلى التبسم، فقال لها رسول الله ﷺ: "لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة، لا، حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته" (البخاري، ١٩٩٨: ح٥٧٩٢). قال العلماء: إن التبسم للتعجب من جهرها وتصريحها بهذا الذي تستحي النساء منه في العادة أو لرغبتها في زوجها الأول وكراهة الثاني (النووي، ٢٠٠٠، مج٥، ج١٠: ٥). فهذا التعجب الوجداني من قول تلك المرأة، عبّر عنه النبي ﷺ بوجهه من خلال التبسم، والتبسم يمثل أحد أساليب الاتصال غير اللفظي.

د – الحزن: عن عَائِشَةَ رَضِي اللَّه عَنْهاَ قَالَتْ: لَمَّا جَاءَ النَّبِيَّ ﷺ قَتْلُ ابْنِ حَارِثَةَ وَجَعْفَرٍ وَابْنِ رَوَاحَةَ، جَلَسَ يُعْرَفُ فِيهِ الْحُزْنُ... (البخاري، ١٩٩٨: ح١٢٩٩). نلاحظ في هذا الموقف غياب الاتصال والتعبير اللفظي بين الرسول ﷺ ومن حوله، ولكن فهمت السيدة عائشة رضي الله عنها أنه كان حزينا، بل و" يعرف فيه الحزن " مما يدل على فاعلية ذلك التعبير بالوجه الذي استخدمه في نقل هذه الرسالة النفسية الوجدانية.

هـ – الغضب: عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ اللُّقَطَةِ، فَقَالَ: "اعْرِفْ وِكَاءَهَا، أَوْ قَالَ وِعَاءَهَا، وَعِفَاصَهَا، ثُمَّ عَرِّفْهَا سَنَةً، ثُمَّ اسْتَمْتِعْ بِهَا، فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ". قَالَ: فَضَالَّةُ الإِبِلِ؟ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، أَوْ قَالَ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: "وَمَا لَكَ وَلَهَا، مَعَهَا سِقَاؤُهَا

وَحِذَاؤُهَا، تَرِدُ الْمَاءَ وَتَرْعَى الشَّجَرَ، فَذَرْهَا حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا " (البخاري، ١٩٩٨: ح٩١). وعَنْ عَلِيٍّ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: أَهْدَى إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ حُلَّةَ سِيَرَاءَ، فَلَبِسْتُهَا، فَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، فَشَقَقْتُهَا بَيْنَ نِسَائِي (البخاري، ١٩٩٨: ح٢٦١٤). تبين من خلال هذين الحديثين أن الصحابة فهموا الرسالة الوجدانية – الغضب – التي تم نقلها عن طريق التعبير بالوجه، بل وأسرع الصحابة في تعديل سلوكهم فورا استجابة لما تحمله تلك الرسالة من توجيهات فهموها من خلال ذلك الاتصال غير اللفظي.

و – الكراهية: الكراهية هي طاقة انفعالية كبيرة، وتظهر في المواقف التي تثير مشاعر سلبية تجاه الأفراد والأشياء أو الأماكن (خليفة وعبد الله، ١٩٩٧: ٢٥٠). والكره انفعال مضاد لانفعال الحب، وهو عبارة عن شعور بعدم الاستحسان، وعدم التقبل، أو الشعور بالنفور والاشمئزاز، وبرغبة في الابتعاد عن الموضوعات التي تثير هذا الشعور (نجاتي، ١٩٩٧: ٩٥). وقد أبدى النبي ﷺ كراهيته لبعض الأشياء، وعبّر عن تلك الكراهية بالاتصال الجسمي غير اللفظي، فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ سَمِعْتُ رَجُلا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ خِلافَهَا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ، وَقَالَ: "كِلاكُمَا مُحْسِنٌ، وَلا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا"؛ (البخاري، ١٩٩٨: ح٣٤٧٦). وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِي اللَّه عَنْهَا أَنَّهَا..اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ، مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ (البخاري، ١٩٩٨: ح ٢١٠٥). نلاحظ أنه بمجرد ملاحظة السيدة عائشة رضي الله عنها لتعبيرات الوجه استوعبت تلك الرسالة الوجدانية – الكراهية – بل وبادرت تسأل وتستفسر عن سبب تلك الكراهية، ما هو؟ لكي تتجنبه. ومع أن الرواة وشارحو الأحاديث لم يبينوا لنا ما الذي رأته السيدة عائشة رضي الله عنها في وجه النبي ﷺ فعرفت من خلاله كراهيته لتلك الأشياء، إلا أن الباحثين في تعبيرات

الوجه يذكرون أن الكراهية يتم التعبير عنها بالعبوس وتقطب الجبين وانقباض العضلات التي في أعلى الوجه، وإخراج الهواء من الداخل والتشديد على مخرجه عند الشفتين، مما يؤدي إلى إصدار صوت يعرف بالتأوف (سليمان، ٢٠٠٣: ١٢٥).

٤ – نقل الرسائل المعرفية (المعاني)

من خلال أساليب الاتصال غير اللفظية تم نقل كثير من المعاني وتوضيح كثير من المفاهيم، عن طريق دعم وتعزيز اللغة اللفظية، أو بالاستقلال عنها، وذلك من خلال العمليات التالية:

أ – التقدير الكمي للأشياء: هناك أحاديث استخدم فيها الاتصال غير اللفظي لنقل المعاني المتمثلة في التقدير الكمي للأشياء، وقد علق النووي في شرحه لصحيح مسلم على أحد تلك الأحاديث بقوله: وفي هذا الحديث جواز اعتماد الإشارة المفهمة في مثل هذا (النووي، ٢٠٠٠، مج٤، ج٧: ١٦٧) وسوف نورد أمثلة لتلك الأحاديث في ما يلي:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِي اللَّه عَنْهمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ رَمَضَانَ، فَضَرَبَ بِيَدَيْهِ فَقَالَ: " الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا (ثُمَّ عَقَدَ إِبْهَامَهُ فِي الثَّالِثَةِ) فَصُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ أُغْمِيَ عَلَيْكُمْ فَاقْدِرُوا لَهُ ثَلاثِينَ" (مسلم١٩٩٨: ح١٠٨٠). دلت هذه الإشارة على التقدير الكمي لأيام الشهر، فهي إما ثلاثين (رفع الأصابع العشرة ثلاث مرات)، وإما تسع وعشرين (رفع الأصابع العشرة مرتين، وإخفاء أحدها في الثالثة).

وعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ كَانَ لَهُ مَالٌ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَدْرَدٍ الأَسْلَمِيِّ، فَلَقِيَهُ فَلَزِمَهُ، فَتَكَلَّمَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَمَرَّ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "يَا كَعْبُ" فَأَشَارَ بِيَدِهِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ النِّصْفَ، فَأَخَذَ نِصْفًا مِمَّا عَلَيْهِ وَتَرَكَ نِصْفًا (مسلم، ١٩٩٨: ١٥٥٨). نلاحظ أن الصحابة فهموا من هذه الإشارة

اليدوية التقدير الكمي لما يدفع من ذلك المال، وهو النصف، فامتثل الصحابيان – الدافع والمدفوع له – بذلك الأمر الذي فهماه من تقدير كمي لما بينهما من مال.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: "فِيهِ سَاعَةٌ، لا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا، إلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ". وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا. (البخاري، ١٩٩٨: ح ٩٣٥). فقول الصحابي "وأشار بيده يقللها" يدل على أن استخدام تلك الإشارة اليدوية ساهم في توضيح التقدير الكمي لتلك الساعة.

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْد اِللَّهِ رَضِي اللَّه عَنْهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ قَدْ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا ". فَلَمْ يَجِئْ مَالُ الْبَحْرَيْنِ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ: فَنَادَى مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ عِدَةٌ، أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا، فَحَثَى لِي حَثْيَةً فَعَدَدْتُهَا، فَإِذَا هِيَ خَمْسُ مائَةٍ، وَقَالَ: خُذْ مِثْلَيْهَا (البخاري، ١٩٩٨: ح٢٢٩٦). نلاحظ أن استخدام الإشارة باليد أفاد في معرفة التقدير الكمي لذلك المال الذي سيعطى لهذا الصحابي.

ب – التمثيل المحسوس للمعاني المجردة: استخدم الاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي لتقريب صورة المعاني المجردة بتمثيل محسوس دال عليها، فعن أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا " وَشَبَّكَ أَصَابِعَه (البخاري، ١٩٩٨: ح ٤٨١)، وقد علق ابن حجر على هذا الحديث بقوله: والذي في الحديث إنما هو لمقصود التمثيل، وتصوير المعنى في النفس بصورة الحس (ابن حجر، ٢٠٠١، ج١: ٦٧٥) ويستفاد منه – أي الحديث – أن الذي يريد المبالغة في بيان أقواله يمثلها بحركاته ليكون أوقع في نفس السامع (ابن حجر، ٢٠٠١، ج١٠: ٤٦٤).

وعَنْ عَبْد اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لا يَمْنَعَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ نِدَاءُ بِلالٍ – أَوْ قَالَ أَذَانُهُ – مِنْ سَحُورِهِ، فَإِنَّمَا يُنَادِي – أَوْ قَالَ يُؤَذِّنُ – لِيَرْجِعَ قَائِمَكُمْ وَلَيْسَ أَنْ يَقُولَ – كَأَنَّهُ يَعْنِي– الصُّبْحَ أَوِ الْفَجْرَ". وَأَظْهَرَ يَزِيدُ يَدَيْهِ ثُمَّ مَدَّ إِحْدَاهُمَا مِنَ الأُخْرَى (البخاري، ١٩٩٨: ح ٥٢٩٨). وهذا الحديث: فيه الإيضاح في البيان والإشارة لزيادة البيان في التعليم، والله أعلم (النووي٢٠٠٠، مج٤، ج٧: ١٧٩).

ج – التقارب والتماثل بين الأشياء: استخدم الاتصال غير اللفظي للتعبير عن التقارب والتماثل والتلازم بين الأشياء، والأمثلة على ذلك كثيرة: عن سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا، بِالْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ: " بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ "؛ (البخاري، ١٩٩٨: ح٤٩٣٦)، وتعليقا على هذا الحديث قال النووي: يحتمل أنه تمثيل لمقاربتها وأنه ليس بينهما إصبع أخرى، كما أنه لا نبي بينه وبين الساعة، ويحتمل أنه لتقريب ما بينهما من المدة وأن التفاوت بينهما كنسبة التفاوت بين الإصبعين تقريبا؛ (النووي، ٢٠٠٠، مج٣، ج٦: ١٣٥). وهذا التعبير غير اللفظي يوضح المفهوم المجرد للتقارب الزمني بين بعثة النبي ﷺ وبين قيام الساعة. ومن جانب آخر نجد بعض الأحاديث استخدم فيها الاتصال غير اللفظي لتوضيح التماثل والتقارب الموضعي، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ". وَضَمَّ أَصَابِعَهُ (مسلم، ١٩٩٨: ح٢٦٣١). نلاحظ أن استخدام الاتصال غير اللفظي هنا، أفاد التقارب الموضعي، وهو معنى مجرد تم التمثيل له من خلال ذلك الأسلوب المرئي المحسوس.

٥ – نقل التوجيهات العملية المباشرة

استخدم الاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي للتوجيه والأمر العملي المباشر: فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: شَهِدْتُ صَلاةَ الْفِطْرِ مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ.، قَالَ: فَنَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ حِينَ يُجَلِّسُ الرِّجَالَ بِيَدِهِ.. (مسلم، ١٩٩٨: ح

٨٨٤). أي يأمرهم بالجلوس (النووي٢٠٠٠، مج٣، ج٦: ١٤٩). نلاحظ أن استخدام الإشارة اليدوية وحدها قد أسهم في توصيل رسالة التوجيه المباشر للحاضرين الواقفين لكي يجلسوا.

ومن الأمثلة على استخدام الاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي في التوجيهات والأوامر المباشرة: قَالَتْ عَائِشَةُ: لَدَدْنَاهُ فِي مَرَضِهِ، فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا: أَنْ لا تَلُدُّونِي، فَقُلْنَا: كَرَاهِيَةُ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: "أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ تَلُدُّونِي". قُلْنَا كَرَاهِيَةَ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ. فَقَالَ: "لا يَبْقَى أَحَدٌ فِي الْبَيْتِ إِلا لُدَّ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلا الْعَبَّاسَ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ"؛ (البخاري، ١٩٩٨: ح ٤٤٥٨). قال أهل اللغة اللدود هو الدواء الذي يصب في أحد جانبي فم المريض ويسقاه.. وإنما أمر (بلدِّهم عقوبة لهم حين خالفوه في إشارته إليهم لا تلدِّوني، ففيه أن الإشارة المفهمة كصريح العبارة في نحو هذه المسألة (النووي، ٢٠٠٠، مج٧، ج١٤: ١٦٦).

ثالثا: الفاعلية التعلمية للاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي

يتم التأكد من فاعلية عمليات التعليم بحدوث التعلم، ويمكن الاستدلال على حدوث التعلم إذا حدثت تغييرات لدى المتعلم يمكن ملاحظتها وقياسها في المجال المعرفي، والانفعالي، والنفسي الحركي، وللتأكد من فاعلية الاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي في تحقيق التعلم في كل تلك المجالات نورد بعض الأمثلة في ما يلي:

أ-المجال المعرفي

يشمل المجال المعرفي تلك الأهداف التي تتناول إدراك المعرفة وتذكرها وتطوير القدرات والمهارات الذهنية (بلوم وآخرون، ١٩٨٥: ٢٤)، وقد تحقق كل ذلك من خلال الاتصال غير اللفظي المستخدم في الحديث النبوي. والدليل على ذلك تذكر الصحابة لذلك الكم الهائل من الأحاديث النبوية، وليس ذلك في حفظ وتذكر نصوصها اللفظية فقط، وإنما في تذكر السلوك غير اللفظي

وتصوير تلك المشاهد والحال التي كان عليها الرسول (من خلال: تعبيرات وجهه، أو استخدام يده، أو تغيير الأوضاع الحركية العامة لجسمه.

أما الفهم والإدراك المعرفي لما حمله الاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي فقد دلت عليه أحاديث كثيرة، ومن ضمنها أن إحدى النساء قد فهمت عدم رغبة الرسول ﷺ الزواج منها، من خلال حركة بصره ووجهه: حيث أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُ لأَهَبَ لَكَ نَفْسِي، فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَصَعَّدَ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ، ثُمَّ طَأْطَأَ رَأْسَهُ، فَلَمَّا رَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ.. (البخاري، ١٩٩٨: ح ٥٠٣٠). وعلق النووي على هذا الحديث بقوله: وفيه أنه يستحب لمن طلبت منه حاجة لا يمكنه قضاؤها أن يسكت سكوتا يفهم السائل منه ذلك ولا يخجله بالمنع إلا إذا لم يحصل الفهم إلا بصريح المنع فيصرح (النووي، ٢٠٠٠، مج٥، ج٩: ١٨١). وفي حديث آخر، عَنْ عَلِيٍّ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: أَهْدَى إِلَيَّ النبي ﷺ (حُلَّةَ سِيَرَاءَ، فَلَبِسْتُهَا، فَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، فَشَقَقْتُهَا بَيْنَ نِسَائِي؛ (البخاري، ١٩٩٨: ح٢٦١٤). نلاحظ أن عليا رضي الله عنه فهم عدم رضا الرسول (من خلال التعبير بالوجه، ومن ثم بادر لفعل ما يذهب ذلك الغضب، وهذا يدل على أن استخدام الاتصال غير اللفظي أوصل رسالة اكتسب من مضمونها هذا الصحابي الجليل معنى معين، لم تستخدم فيه ألفاظ.

أما القدرات والمهارات الذهنية التي تحققت من خلال الاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي فقد دلت عليها أحاديث كثيرة، فعن طريق الإشارة فهم الصحابة التقدير الكمي لقيم بعض الأشياء: حيث نرى أن كعب بن مالك فهم القيمة الكمية المطلوبة من خلال الإشارة اليدوية: عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ كَانَ لَهُ مَالٌ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَدْرَدٍ الأَسلَمِيِّ، فَلَقِيَهُ فَلَزِمَهُ، فَتَكَلَّمَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَمَرَّ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "يَا كَعْبُ" فَأَشَارَ بِيَدِهِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ النِّصْفَ، فَأَخَذَ نِصْفًا مِمَّا عَلَيْهِ وَتَرَكَ نِصْفًا (مسلم، ١٩٩٨: ح ١٥٥٨). وعن طريق الاتصال غير اللفظي فهم الصحابة المعنى المجرد، فعن أبي هُرَيْرَةَ،

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " يُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ ". قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْهَرْجُ؟ فَقَال: هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَهَا، كَأَنَّه يُرِيدُ الْقَتْلَ؛ (البخاري، ١٩٩٨: ح ٨٥). وجاء في شرح ابن حجر لهذا الحديث: لعبارة (كأنه يريد القتل) كأن ذلك فهم من تحريف اليد وحركتها كالضارب؛ (ابن حجر، ٢٠٠١، ج١: ٢٢٦). فاستخدام تلك الحركة اليدوية، فهم منها الصحابة شرحا وتوضيحا لذلك المعنى المجرد لكلمة (الهرج)، وهذا ينمي العمليات المعرفية الذهنية العليا، وبالتالي يكون الاتصال غير اللفظي قد حقق تلك العمليات المعرفية كلها من تذكر وفهم وإدراك وعمليات ذهنية عليا.

ب - المجال الانفعالي

يركز هذا الجانب على الأحاسيس والمشاعر وعلى التغيرات الداخلية التي يمكن أن تطرأ على سلوك المتعلم وتؤدي إلى تبنيه موقفا أو مبدءا أو معيارا أو قيمة، أو اتجاها يحدد سلوكه وتوجهه، كما تؤثر في إصداره لحكم ما؛ (قطامي وقطامي، ٢٠٠١: ٨٠). وقد اتضح أن الاتصال غير اللفظي قد لعب دورا كبيرا في نقل الرسائل الوجدانية مثل: الفرح والسرور، التعجب، الحياء، الحزن، الغضب، والكراهية، وغيرها من الانفعالات التي يسعى المربون لتنميتها لدى المتعلمين، فكما علمنا أن تلك الأساليب تمكنت من نقل تلك الرسائل من المعلم للمتعلم، فإنه قد تبين أيضا أن تلك الأساليب قد أثبتت فاعليتها في إكساب المتعلمين لتلك الانفعالات والميول والاتجاهات بلا أمر أو نهي عن طريق الكلمات اللفظية المباشرة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله، فقال: "قد قضى". قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ، بكوا..(البخاري، ١٩٩٨: ١٣٠٤). فهذا الموقف دل على أن حالة الحزن التي أظهرها النبي ﷺ عن طريق البكاء كاتصال غير لفظي انتقلت إلى من حوله وتأثروا بذلك، فاكتسبوا تلك الحالة الوجدانية عن طريق ذلك التعبير الانفعالي غير اللفظي.

وقد ورد في أحد الأحاديث التي استخدم فيها الاتصال غير اللفظي: عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا، فَلَمَّا أُكْثِرَ عَلَيْهِ غَضِبَ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاس ِ: "سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ". قَالَ رَجُلٌ مَنْ أَبِي؟ قَالَ: "أَبُوكَ حُذَافَةُ". فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: "أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ"؛ فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا فِي وَجْهِهِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. (البخاري، ١٩٩٨: ح ٩٢). وأورد ابن حجر بعض الروايات الأخرى لهذا الحديث فقال: بيّن في حديث أنس أن الصحابة كلهم فهموا ذلك، ففي رواية هشام: فإذا كل رجل لافا ثوبه يبكي، وزاد في رواية سعيد بن بشير: وظنوا أن ذلك بين يدي أمر قد حضر، وفي رواية موسى ابن أنس عن أنس: فغضوا رؤوسهم لهم خنين.. وعلق ابن حجر على كل ذلك بقوله: وفي هذا الحديث غير ما يتعلق بالترجمة، مراقبة الصحابة أحوال النبي ﷺ وشدة إشفاقهم إذا غضب، خشية أن يكون لأمر يعم فيعمهم؛ (ابن حجر، ٢٠٠١، ج١٣: ٢٨٤). وهذا يدل على مدى فاعلية الاتصال غير اللفظي في نقل الرسائل التعليمية الانفعالية، ومدى فاعليته في إكساب تلك الرسالة بلا وسيط لفظي، حتى أصبح الصحابة يشفقوا مما يشفق منه، عندما يعبر عن ذلك بوجهه، ويحزنوا لحزنه عندما يعبر عن ذلك ببكائه من خلال الاتصال غير اللفظي.

ج - تعلم المهارات والأفعال النفس حركية

تعرف المهارة النفس حركية بأنها: أي نشاط سلوكي ينبغي على المتعلم أن يكتسب فيها سلسلة من الاستجابات الحركية، ويتضمن ذلك أن المهارة ذات جانبين: الجانب الأول: نفسي وفيه يدرك الفرد الحركة، ثم يفكر فيها ثم يستوعبها، والجانب الثاني يتمثل في ممارستها (قطامي وقطامي، ٢٠٠١: ٧٦). وفي جزء من حديث طويل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ، وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ ذَهَبْتُ أَنْ أُخَالِفَ بَيْنَ طَرَفَيْهَا فَلَمْ تَبْلُغْ لِي، وَكَانَتْ لَهَا ذَبَاذِبُ فَنَكَّسْتُهَا ثُمَّ خَالَفْتُ بَيْنَ طَرَفَيْهَا، ثُمَّ تَوَاقَصْتُ عَلَيْهَا..، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْمُقُنِي وَأَنَا لا أَشْعُرُ، ثُمَّ فَطِنْتُ بِهِ، فَقَالَ هَكَذَا، بِيَدِهِ

يَعْنِي شُدَّ وَسَطَكَ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يَا جَابِرُ!" قُلْتُ: لَبَّيْكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: " إِذَا كَانَ وَاسِعًا فَخَالِفْ بَيْنَ طَرَفَيْهِ وَإِذَا كَانَ ضَيِّقًا فَاشْدُدْهُ عَلَى حَقْوِكَ ".(مسلم، ١٩٩٨: ح٣٠١٠). من خلال هذا الحديث نرى أن جابر رضي الله عنهما تعلم كيفية وضع الثوب أثناء الصلاة، وذلك من خلال الاتصال غير اللفظي الذي تم بينه وبين النبي المعلم ﷺ.

وعن سفيان عَنْ عَمْرٍو عَنْ كُرَيْبٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَتَوَضَّأَ مِنْ شَنٍّ مُعَلَّقٍ وُضُوءًا خَفِيفًا – يُخَفِّفُهُ عَمْرٌو وَيُقَلِّلُهُ – وَقَامَ يُصَلِّي فَتَوَضَّأْتُ نَحْوًا مِمَّا تَوَضَّأَ ثُمَّ جِئْتُ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ – وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ عَنْ شِمَالِهِ – فَحَوَّلَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ، ثُمَّ صَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ.. (البخاري، ١٩٩٨: ١٣٨). وقد أورد ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: ويحتمل أن يريد – أي الراوي – ارتقاب ابن عباس لأحوال النبي ﷺ، ولا فرق بين التعليم من القول والتعليم من الفعل، فقد سهر ابن عباس ليلته في طلب العلم، زاد الكرماني أو ما يفهم من جعله إياه على يمينه، كأنه قال: قف عن يميني، فقال: وقفت؛ (ابن حجر، ٢٠٠١، ج١: ١١٧). فقيام النبي ﷺ ووضوءه أمام هذا الطفل الصغير ووقوفه للصلاة، مثّل رسالة تعليمية تم نقلها عن طريق الاتصال غير اللفظي، وتمثلت فعالية هذا الاتصال في استجابة ابن عباس رضي الله عنهما في قيامه وأدائه للصلاة مثلما فعل النبي ﷺ.

مناقشة نتائج البحث وتفسيرها

أفادت النتائج بأن هناك العديد من أساليب الاتصال غير اللفظية التي استخدمت في الحديث النبوي، وأدت تلك الأساليب وظائف تعليمية متنوعة، وكانت لها فاعلية تعلمية مؤثرة. وسوف نفسر ونناقش تلك النتائج من خلال ثلاثة محاور: المحور الأول يتناول كفاية استخدام الاتصال غير اللفظي في المواقف التعليمية، والمحور الثاني: يتناول العوامل التي ساعدت تلك الأساليب

لتؤدي كل تلك الوظائف التعليمية، والمحور الثالث يناقش الكيفية التي بموجبها أضحت تلك الأساليب لها فاعلية تعلمية رفيعة.

المحور الأول: كفاية استخدام الاتصال غير اللفظي في المواقف التعليمية

اتضح من النتائج السابقة أن النبي ﷺ قد استخدم أساليب متنوعة من الاتصال غير اللفظي، عن طريق التعبير بالوجه، واستخدام اليد، وتغيير وضع الجسم وحركته، ونسبة لأهمية هذه الأساليب فقد تطرق لها وحصرها بعض علماء الحديث والسيرة والشمائل والتربية الإسلامية من قبل (أنظر: البخاري، ١٩٩٨، مسلم، ١٩٩٨، ابن قيم الجوزية، ٢٠٠٢، الأصبهاني، ١٩٩٨، البغوي، ١٩٩٩، الترمذي، ١٤١٣، النسائي، ١٩٩٤، أبو غدة، ١٩٩٧).

وإضافة لذلك التنوع نلاحظ الكفاية العالية في انتقاء النماذج الملائمة من تلك الأساليب وتوظيفها بقدرة فائقة في المواقف التعليمية المختلفة، حيث لم نجد من بينها سلوك الضحك الدال على السخرية والاستهزاء. وما يؤكد ذلك ما أورده ابن حجر: أن البخاري ذكر في باب التبسم والضحك تسعة أحاديث.. وفي جميعها ذكر التبسم أو الضحك، لأسباب مختلفة لكن أكثرها للتعجب وبعضها للإعجاب، وبعضها للملاطفة (ابن حجر، ٢٠٠١، ج١٠: ٥٢٠). وقد روي عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ (البخاري، ١٩٩٨: ح٦٠٩٢). وإن ما جاء في هذا الحديث لا ينافي ما جاء في الحديث الآخر: " أنه ضحك حتى بدت نواجذه " لأن ظهور النواجذ – وهي الأسنان التي في مقدم الفم، أو الأنياب – لا يستلزم ظهور اللهاة (ابن حجر، ٢٠٠١: ج ٨: ٤٥٢). وأما بكاؤه ﷺ فكان من جنس ضحكه، لم يكن بشهيق، ورفع صوت كما لم يكن الضحك بقهقهة، ولكن كانت تدمع عيناه حتى تهملا، ويسمع لصدره أزيز (ابن قيم الجوزية، ٢٠٠٢، ج١: ١٧٦).

وتفيد الدراسات العلمية أن استخدام أساليب الاتصال غير اللفظية لأداء وظائف محددة ليس أمرا سهلا بل يتطلب مهارة عالية كما يشير إلى ذلك (دي بولو) (DePaulo, 1992). وقد سرد (ناب وهول) مجموعة من المدخلات

الشخصية الضرورية لأداء الاتصال غير اللفظي بفاعلية، مثل: الثقة، الدافعية، التلقائية في التعبير، توفر الإمكانات الجسمية، توفر الإمكانات الانفعالية والكاريزما وغيرها (Knapp & Hall,1997: 93-96).

وبناء على هذا يمكن القول بأن المعلمين لا يمكنهم استخدام تلك الأساليب إلا إذا توفرت لديهم الكفايات اللازمة لذلك، وبعد أن ينالوا تأهيلا وتدريبا عاليا، وكما أورد (الصافي، ١٤١٩: ٨٠) أن هناك فروقا بين المعلمين المؤهلين تربويا وغير المؤهلين تربويا في استخدامهم للتواصل غير اللفظي. حيث ثبت أن المعلمين المؤهلين تربويا يستخدمون علامات غير لفظية موجبة (دافئة) أثناء شرح الدرس مثل: استمرارية تواصل العين، تواتر الابتسامة، إيماءة اليدين، الخ.. بينما يستخدم المعلمون غير المؤهلين تربويا علامات غير لفظية سالبة (باردة) أثناء شرح الدرس مثل: عدم استمرارية تواصل العين، ندرة الابتسامة، الخ.

ونتيجة لذلك فقد أصبحت فاعلية التدريس تُقوَّم وتقاس من خلال السلوك غير اللفظي الذي يمارسه المعلم، ومدى تأثيره في المتعلمين (Babad et al., 2003)، وقد صمم التربويون أدوات لقياس السلوك غير اللفظي لمعرفة مدى فعالية المعلم التدريسية، ومدى امتلاكه للكفايات المهنية اللازمة، ومن أمثلة تلك الأدوات أداة (غالاوي) للتفاعل غير اللفظي (الخطايبة وآخرون، ٢٠٠٢: ١٦٩). فإذا كان استخدام تلك الأساليب يحتاج لكفاية عالية وتأهيل وتدريب مكثف، وقد اتضح لنا أن النبي ﷺ كان يستخدمها بكثرة وفي مواقف متنوعة؟ بل وينتقي منها ما يناسب المواقف التعليمية فقط طوال فترة حياته التربوية! فكيف تم إعداد النبي ﷺ للقيام بذلك وإتقانه؟

فإذا أردنا البحث عن تلك العوامل التي كونت شخصية النبي المعلم ﷺ، تلك العوامل التي أعدته هذا الإعداد المتكامل ونمت فيه كل هذه الكفايات، نجد الإجابة سهلة وفي متناول اليد وهي: القرآن الكريم، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه مباشرة بعد ذلك هو: هل للقرآن الكريم علاقة بأساليب الاتصال غير اللفظي؟

للإجابة عن هذا السؤال المطروح نقول نعم، فقد توصلت إحدى الدراسات إلى أن هناك خمسة وثلاثين نمطا للتعبير بالوجه في القرآن الكريم، وقد دلت تلك الأنماط على خمس عشرة حالة نفسية متنوعة (سليمان، ٢٠٠٣). أي أن اللفظ القرآني صور بعض أساليب الاتصال غير اللفظي مثل: ابيضاض الوجه واسوداده، والضحك والتبسم، وعض الأنامل، ودوران العيون، وفيض العيون دمعا، وتقليب الأيدي، وعبوس الوجه وغيره، للدلالة على بعض الانفعالات مثل: الفرح والحزن والندم والغضب وغيره.

ومن جانب آخر فقد ورد توضيح لاستخدام الإشارة في القرآن الكريم في كثير من الآيات، ولذلك نجد أن الشنقيطي قد توسع كثيرا في تفسيره للقرآن الكريم عندما تناول موضوع الإشارة التي وردت في سورة مريم، وجمع الآيات الدالة على استخدام الإشارة، وناقش آراء المفسرين والعلماء حولها واعتبرها مسألة قائمة بذاتها، وخلاصة قوله حولها ما نصه: "والذي يظهر لي رجحانه في المسألة: أن الإشارة إن دلت على المعنى دلالة واضحة لا شك في المقصود معها أنها تقوم مقام النطق مطلقا، ما لم تكن في خصوص اللفظ أهمية مقصودة من قبل الشارع.." (الشنقيطي، ٢٠٠٠، ج٤: ٢٠٢).

فطالما أن القرآن الكريم قد أشار إلى استخدام الاتصال غير اللفظي في آيات كثيرة، وبما أن القرآن الكريم قد مثّل مصدر الإعداد التربوي للنبي ﷺ، فلا عجب في تناسق الأساليب التربوية والتعليمية للنبي ﷺ بما جاء في القرآن، فجاء السلوك غير اللفظي في الحديث النبوي بمواصفات تربوية معينة وأدى وظائف تعليمية خالصة. والدليل على ذلك أن النبي ﷺ لم يضحك سخرية من أحد أبدا، ونجد أن القرآن الكريم قد أورد ضحك السخرية والاستهزاء على لسان الكافرين فقط، ولا توجد إلا آية واحدة توضح ضحك المؤمنين ردا على الكافرين جزاء سخريتهم عليهم، ولكن ليست في الدنيا وإنما في الآخرة في قوله تعالى في سورة المطففين: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ (سليمان، ٢٠٠٣: ٥٦-٥٩). ويكون لهذه النتيجة مدلولها التربوي العميق إذا

علمنا أن السخرية كثيرا ما تنقل إلى المتعلمين رسالة معناها عدم الاكتراث، وعدم الاهتمام، أو حتى عدم محبة المتعلمين (جابر، ٢٠٠٠: ٢٢).وهذا يدل على أن شخصية النبي ﷺ تمثل شخصية المعلم المثال الذي ينبغي أن يقتدى به، ولابد من دراسة تلك الجوانب الناصعة في شخصيته، واستخراج تلك الأساليب التي استخدمها، وصياغتها في شكل برامج تربوية للمعلمين لكي يتدربوا عليها وفي ضوئها.

المحور الثاني: الوظائف التعليمية للاتصال غير اللفظي

أفادت النتائج السابقة أن هناك وظائف تعليمية متنوعة للاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي، فالنبي ﷺ يتبسم، والصحابة يسألون عن ذلك، والنبي ﷺ يشير والصحابة ينتبهون، والنبي ﷺ يُمَثِّل بيده وهم ينظرون لحركة أصابعه، وبصورة عامة فقد استطاع ذلك الاتصال غير اللفظي أن يحقق: الانتباه، والتفاعل التربوي، ونقل الرسائل الوجدانية والمعرفية، والتوجيهات الإرشادية العملية. وتؤكد الكثير من الدراسات التربوية والنفسية الحديثة على فاعلية مثل تلك الأساليب في المواقف التعليمية المختلفة (Golden-Meadow et al., 1999; Knapp & Hall, 1997; DePaulo, 1992).

ويمكن تفسير ذلك من عدة جوانب: من ضمنها أن تلك الأساليب تعتبر لغة عالمية مشتركة بين معظم الناس، حيث أثبتت الدراسات أن تعبيرات الوجه يدرك دلالاتها أفراد مختلفون بغض النظر عن تباين أماكنهم الجغرافية، وتنوع ثقافتهم الاجتماعية، وتباين نوعهم – ذكورا وإناثا – واختلاف مستويات نموهم كبارا وصغارا (Hadit & Keltner, 1999; Yik & Russell, 1999; Nelson & Haan, 1998; Gosselin & Simard, 1999; Kring & Gordon, 1998; McClutre,2000; Tronick,1989). ومن جانب آخر فقد أوضحت بعض الدراسات أن المتلقي لا يحتاج لتدريب لتفسيره لأساليب الاتصال غير اللفظية التي يشاهدها (Alibali et al. 1997). وتتبع فعالية أساليب الاتصال غير اللفظية في نقل الانفعالات بصورة خاصة، لأن تعبيرات الوجه هي جزء من السلوك الانفعالي نفسه (Russell, 1994).

ومن جانب آخر فإن أساليب الاتصال غير اللفظي تسهم في اختصار وقت التعليم، حيث أنها لا تستغرق وقتا طويلا، فعندما تحدث الاستثارة الانفعالية كالخوف مثلا، فإن التغيرات التي تطرأ على الوجه تكون سريعة ومكثفة أكثر من التعبير اللفظي عن تلك الحالة (DePaulo,1992). وإن أساليب الاتصال غير اللفظية تستدعي التفاعل الاجتماعي والتربوي من خلال وظائفها الاجتماعية، فالبكاء مثلا له مظهر اجتماعي تفاعلي، فغالبا ما يدعو البكاء للترابط بين الأشخاص، ويحث على السلوى والتعزية والتعاطف مع الآخرين، كما أنه يوضح حجم الألم الذي يعتصر الشخص الباكي (Vingerhoets et al., 2000)، ونسبة لهذا فقد رأينا أن الصحابة كانوا يبكون عندما يبكي الرسول ﷺ.

ولاحظنا أن الصحابي ذكر أن الرسول ﷺ علمه التشهد كما يعلمه السورة من القرآن وكفه بين كفيه، فهذا اللمس له أهمية خاصة هنا، وله فاعلية تعليمية، حيث يعد اللمس مهما في الاتصال والعلاقات الإنسانية، وإنه يلعب دورا في التشجيع، والتعبير عن اللطف ويوضح الدعم العاطفي (Knapp & Hall, 1997: 298).

ونلاحظ أن أساليب الاتصال غير اللفظي تمكِّن المتلقي من استقبالها عن طريق حاسة البصر، وحاسة البصر تستخدم بكثرة، حيث أفادت إحدى الدراسات المسحية عن حركة العيون والاتصال البصري بين الأفراد، أن أفراد المجتمع يستهلكون وقتا في الاتصال البصري تتراوح نسبته بين ٣٠-٦٠٪ من وقتهم الإجمالي (Tubbs & Moss, 1994: 119).

ومن النقاط المهمة التي ينبغي التركيز عليها هو أهمية استخدام أساليب الاتصال غير اللفظي في تعليم الأطفال وفي التفاعل معهم، وقد ورد في النتائج أن الرسول ﷺ استخدم الاتصال غير اللفظي مع الأطفال كما لاحظنا أن أنس بن مالك – وهو طفل – قد تفاعل معه الرسول ﷺ عن طريق الضحك والتبسم

عندما أراد أن يرسله، وتدل دراسات علم نفس النمو الحديثة أن اللغة غير اللفظية سابقة للغة اللفظية من حيث النمو، حيث اتضح أن الأطفال يميزون معاني الإشارات التعبيرية قبل الكلمات اللفظية (Nicoladis et al., 1999).

ومن جانب آخر فإن الرسول ﷺ قد تفاعل مع الحسن وهو طفل صغير عن طريق حركات اليد قبل أن يلتزمه ويقبِّله، وهذه الحركة اليدوية التلقائية تمهد لتوصيل رسالة العطف والمحبة لأن لتلك الحركات علاقة بنمط شخصية الإنسان، حيث اتضح أن حركة اليدين التعبيرية أثناء المقابلات لها علاقة بتكوين الانطباعات الأولية عن شخصية الفرد. وأن تلك الحركات التعبيرية أثناء المقابلات ترتبط إيجابيا بالنمو الانبساطي للشخصية والتعبير الانفعالي، وترتبط سلبيا بالخجل والنمو العصابي للشخصية (Chaplin et al., 2000).

المحور الثالث: الفاعلية التعلمية للاتصال غير اللفظي

تمكن الصحابة رضي الله عنهم من تذكر تلك الأقوال اللفظية وتسجيل تلك المواقف الحركية، وتعلموا المفاهيم وأدركوها، واكتسبوا العواطف والانفعالات والاتجاهات والميول، واستطاعوا القيام بالمهام التي تقتضي تعلم إجراءات حركية معينة، واتضح أن أثر الاتصال غير اللفظي في كل تلك الجوانب كان واضحا جدا، فالصحابة عرفوا القيم والمقادير الكمية للأشياء من خلال الإشارات اليدوية في الوقت الذي لم يحدد فيه الرسول ﷺ القيم الكمية لتلك الأشياء لفظياً: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: " فِيهِ سَاعَةٌ، لا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا، إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ". وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا؛ (البخاري ١٩٩٨: ح٩٣٥). والصحابة عرفوا الأشياء المكروهة والمحبوبة من خلال ملاحظتهم لتعبيرات الوجه التي كان يمارسها الرسول ﷺ، فعَنْ عَلِيٍّ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: أَهْدَى إِلَيَّ ﷺ حُلَّةَ سِيَرَاءَ، فَلَبِسْتُهَا، فَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، فَشَقَقْتُهَا بَيْنَ نِسَائِي (البخاري، ١٩٩٨: ح ٢٦١٤).

وبما أن تحقيق التعليم لأهدافه يعتبر الغاية التي يسعى لها كل مربي، وطالما أن تحقيق أهداف التعليم يتمثل في: اكتساب الحقائق والمفاهيم، وتنمية الميول والجوانب الوجدانية، وتعلم المهارات والعمليات النفس حركية، فإن نتائج هذا البحث قد أفادت بأن الاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي قد أدى إلى تحقيق تلك الأهداف جميعها، فما هو التفسير المناسب لهذه النتيجة؟

نلاحظ أن تلك الأساليب حققت الشروط الأساسية اللازمة للتعلم بدءا بإثارة الانتباه وتركيزه والمحافظة على استمراريته، وتمكين المتعلم من إدراك المعلومات والخبرات، وتذكر المواقف والأشكال والأقوال، وإجراء عمليات عقلية معرفية عليا عليها. واتضح أن تلك الأساليب لعبت دورا كبيرا في جذب الانتباه وتركيزه على موضوع التعلم وعلى شخصية المعلم، وذلك من خلال تعبيرات الوجه وإشارات اليد ولمساتها وكذلك من خلال تغيير وضع الجسم. والسيطرة على انتباه المتعلم تعد شرطا ضروريا لإحداث التعلم، فقد ذكر (جانييه، ٢٠٠٠: ٣٤٤) بأنه لا يمكن أن يحدث التعلم بدون انتباه، ولذا عادة ما يحرص مصممو التعليم على جذب انتباه المتعلم والمحافظة عليه. ويرى (قطامي وقطامي، ٢٠٠١: ٢٧١) أن أي نظام مدرسي لا يستطيع مساعدة الدارس على التعلم إذا لم يستطع الدارس تركيز انتباهه للدرس أو الجلوس فترة كافية لإنهاء المادة الدراسية المطلوب إليه دراستها.

ومن جانب آخر فقد ساعد الاتصال غير اللفظي في إدراك المفاهيم المجردة وإكسابها وتعلمها، ونلاحظ أن الإشارات اليدوية قد ساهمت في نقل كثير من المعاني من خلال التمثيل الكيفي للمعاني المجردة، أو من خلال الإشارات المباشرة للأشياء، وأثرت هذه العمليات في التمثيل الذهني لتلك المعاني، مما أدى إلى ما يمكن تسميته بالصور الذهنية لتلك المعاني، " والصور الذهنية هي عبارة عن تمثيلات مبنية على الإدراكات، أي على بناء ومظهر المعلومات..فالصور تعكس ما تمثله، أي أنها تحافظ على الصفات الفيزيائية للبناء المكاني للمعلومات..فالصور لها عدة فوائد في اتخاذ قرارات عملية.. كما

قد تبدو الصور الذهنية مفيدة في الاستدلال المجرد، فقد بين أحد الفيزيائيين أن خلق صور ذهنية يلعب دورا في الاستدلال لحل مشكلات معقدة " (البيلي، ١٩٩٨: ٢٤٤).

إن استراتيجية المتعلم التي تعتمد على توليد الصور الذهنية المرتبطة بالمادة التعليمية تزيد التعلم بدرجة كبيرة.. فالصورة الذهنية في عقل المتعلم هي تمثيل يرتبط إلى حد ما بأشياء وأحداث محسوسة. فقد دلت الأبحاث المكثفة أنه عندما نريد الربط بين كلمتين (مفهومين) فإن تشكيل صورة ذهنية للشيء أو الحدث أو الفكرة التي ترمز لها كلمة يمكن أن يؤدي إلى مضاعفة التعلم بمعدل مرتين كما الحال عندما نكرر الكلمتين شفهيا.. (جانييه، ٢٠٠٠: ٣٧٢).

ومن جانب آخر فإن الفعالية التعلمية للاتصال غير اللفظي قد ترجع لعلميات التذكر، حيث تفيد الدراسات أن ملامح الوجه تبقى ثابتة في الذاكرة لفترة من الزمن (Hassin & Trope, 2000)، ولذلك نرى أن الصحابة احتفظوا بصورة وجه رسول الله ﷺ، وظلت في ذاكرتهم، ولم يجدوا صعوبة في نقلها وتصويرها وتسجيلها لفظيا، وهذا يتفق مع الدلائل المتوافرة إلى أن إضافة الصور إلى العبارات الشفهية المخزنة في الذاكرة طويلة المدى تساعد في بعض الأحيان على تذكر هذه المادة؛ (جانييه، ٢٠٠٠:٩١).

وبعيدا عن هذه التفسيرات العقلية المعرفية للفاعلية التعلمية للاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي، نلاحظ أن الدافعية والتعزيز لهما دور كبير في تيسير إحداث التعلم، فاستخدام الرسول ﷺ لتلك الأساليب جعل الصحابة يراقبون أحواله كلها، ويسألون بدافعية عالية عن كل تغير سلوكي بالوجه، أو حركة الجسم، أو إشارات اليدين، كما اتضح ذلك من خلال وظيفة التفاعل التربوي لتلك الأساليب.

وفي الختام لابد من التذكير بأن ذلك الاتصال غير اللفظي المستخدم في الحديث النبوي، لم يكن هو النمط الوحيد المستخدم في الخطاب النبوي، بل قد تكامل في كثير من المواقف مع اللغة اللفظية، سواء كان شارحا لها مثل: قوله

("الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا.." (مسلم١٩٩٨: ح١٠٨٠)، أو كان موضحا لمعاني اللغة اللفظية مثل قوله ﷺ: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا " وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ (البخاري، ١٩٩٨: ح٤٨١). وهذا التناسق والتكامل بين الاتصال اللفظي وغير اللفظي في الحديث النبوي قد ساهم بدرجة كبيرة في تحقيق التفاعل التربوي، وتيسير التعلم والتذكر، والمساعدة على عمليات الذهن العليا مثل التفكير.

خلاصة البحث وتوصياته

هدف هذا البحث إلى تحديد أساليب الاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي، ومعرفة وظائفها التعليمية، وفاعليتها التعلمية، وقد أفضى إلى النتائج التالية:

- أولاً: تمثلت أساليب الاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي في:

١ – التعبير بالوجه: الذي تضمن كلاً من: التبسم والضحك، الاتصال البصري، تغيير هيئة الوجه، تغيير لون الوجه، البكاء، والصمت.

٢ – استخدام اليد: وذلك من خلال: اللمس، الإشارة إلى الأشياء المحسوسة، والإشارة الرمزية التعبيرية.

٣ – استخدام الحركات الجسمية العامة مثل: تعديل وضع الجسم، الإقبال، الإعراض، رفع الرأس وتنكيسه.

- ثانياً: الوظائف التعليمية للاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي: وقد تمثلت في: التهيئة والاستعداد، التفاعل التربوي، نقل الرسائل الوجدانية، نقل الرسائل المعرفية، ونقل التوجيهات العملية المباشرة.

- ثالثاً: الفاعلية التعلمية للاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي: حققت تلك الأساليب تعلما في المجال المعرفي، المجال الانفعالي، ومجال تعلم المهارات والأفعال النفس حركية.

وبعد مناقشة هذه النتائج في ضوء الدراسات التربوية والنفسية يمكن تقديم التوصيات التالية:

١ – توجيه المعلمين لاستخدام أساليب الاتصال غير اللفظي باعتبارها سنة نبوية، استخدمها المعلم الأول ﷺ، ودعا لاستخدامها في التواصل الاجتماعي، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ لا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ (مسلم، ١٩٩٨: ح٢٦٢٦).

٢ – حث المعلمين على استخدام أساليب الاتصال غير اللفظي في التدريس، من خلال توضيح وظائفها التعليمية، وفاعليتها التعلمية، ومن خلال تصميم البرامج التدريبية للمعلمين والدعاة لمساعدتهم على استخدام أساليب الاتصال غير اللفظي في خطابهم التعليمي والدعوي.

٣ – التحذير من استخدام الاتصال غير اللفظي الذي يحمل رسائل سلبية (مثل: الضحك للاستهزاء والسخرية من المتعلمين).

٤ – تقديم الأحاديث النبوية لفظا وحركة، وخاصة في الأحاديث التي لم يرد فيها نص لفظي من الرسول ﷺ، مثل: تشبيك الأصابع، ومد السبابة والوسطى، والإشارة وغيرها، وذلك للحفاظ على الوظائف التعليمية لتلك الأساليب، ولأجل إحداث الفاعلية التعلمية من جانب آخر.

Educational Functions and Learning Efficiency of Non-verbal Communication in the Prophet's Hadeeth

Dr. Elsir Ahmed M. Sulaiman
Dept. Educational Psychology
Hail Teachers College - KSA

ABSTRACT

Verbal and non-verbal communication play an important role in educational and learning processes. The aim of this study is to determine the styles of non-verbal communication used in the Prophet's Hadeeth (speech), and to appreciate their educational functions and learning efficiencies. applying content analysis on a sample of the Prophet's valid Hadeeth, the researcher found the following:

1 - The styles of non-verbal communication in the Prophet's Hadeeth are:

- **a - Facial expressions: laughing, eye gazing, changing facial configuration, changing facial color, weeping, and pausing.**
- **b - Hand gestures: touching, concrete gestures, and abstract gestures.**
- **c - Body postures: changing the position of the body, facing others, avoiding, and raising the head up and down.**

2 - The educational functions of the styles of non-verbal communication in the Prophet's Hadeeth are: establishing receptive set, educational interaction, sending emotional and cognitive messages, and sending direct practical orders.

3 - The styles of non-verbal communication in the Prophet's Hadeeth play an important role in the efficiency of learning in the cognitive, emotional, and psychomotor domains.

Finally, the researcher concluded with some recommendations concerning using non- verbal communications in the educational processes, and to look up to the Prophet Mohammed (PUH) as a model for education in these areas.

المراجع

١ – ابن جماعة، بدر الدين محمد (٢٠٠٢). **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**، تحقيق: محمد الندوي. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢ – ابن حجر، أحمد بن علي (٢٠٠١). **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق: عبد القادر الحمد. الرياض: مكتبة العبيكان.

٣ – ابن قيم الجورزية، محمد بن أبي بكر (٢٠٠٢). **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ط٣. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٤ – ابن كثير، إسماعيل بن عمر (٢٠٠٠). **تفسير ابن كثير**، تهذيب جماعة من العلماء، ط٢. الرياض: دار السلام.

٥ – أبو غدة، عبد الفتاح (١٩٩٧). **الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم**، ط٢. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

٦ – أحمد، محمد آدم (٢٠٠٢). واقع الوسائل التعليمية المستخدمة في تدريس الرياضيات في مدارس المرحلة الابتدائية بمحافظة بيشة. **مجلة كليات المعلمين**، ٢(١)، ١٨٩-٢٣٦.

٧ – الأصبهاني، عبد الله بن حيان (١٩٩٨). **أخلاق النبي ﷺ وآدابه**، تحقيق: صالح الونيان. الرياض: دار المسلم.

٨ – الأصفهاني، الراغب (١٩٩٨). **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق محمد خليل عيتاني. بيروت: دار المعرفة.

٩ – البخاري، محمد بن إسماعيل (١٩٩٨). **صحيح البخاري**. الرياض: بيت الأفكار الدولية.

١٠ – البغوي، الحسين بن مسعود (١٩٩٩). **الأنوار في شمائل النبي المختار**، تحقيق: إبراهيم اليعقوبي، ط٢. دمشق: دار المكتبي.

١١- البيلي، محمد؛ العمادي، عبد القادر؛ والصمادي، أحمد (١٩٩٨). **علم النفس التربوي وتطبيقاته**، ط٢. الكويت: مكتبة الفلاح.

١٢- الترمذي، محمد بن سؤرة (١٤١٣). **الشمائل المحمدية**، اختصار وتحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٤. الرياض: مكتبة المعارف.

١٣- الجزولي، عبد الحافظ؛ والدخيل، محمد (٢٠٠٠). **طرق البحث في التربية والعلوم الاجتماعية**. الرياض: دار الخريجي.

١٤- الجيوسي، محمد بلال (٢٠٠٢). **أنت وأنا: مقدمة في مهارات التواصل الإنساني**. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.

١٥- الخطايبة، ماجد؛ والطويسي، أحمد؛ والسلطاني، عبد الحسين (٢٠٠٢). **التفاعل الصفي**. عمان: دار الشروق.

١٦- الشنقيطي، محمد الأمين (٢٠٠٠). **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٧- الصانع، عبد الله بن طه (١٤١٩هـ). **التقويم التربوي**، ط٢. الرياض: مطابع العطار.

١٨- الطحان، محمود؛ والشايجي، عبد الرزاق؛ وعبيد، نهاد (١٩٩٨) معجم المصطلحات الحديثية. **مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية**، ٣٦، ٩٥-١٧٤.

١٩- الطريقي، عبد الله محمد (١٩٩٢). **الإشارة وما يتعلق بها من أحكام في الفقه الإسلامي**. الرياض: شركة الصفحات الذهبية.

٢٠- النسائي، أحمد بن شعيب (١٩٩٤). **كتاب العلم**، تحقيق: فاروق حمادة، ط٤. الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي.

٢١- النووي، يحيى بن شرف (٢٠٠٠). **صحيح مسلم بشرح النووي**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٢- بلوم، بنجامين؛ وأنجلهارث، ماكس؛ وهل، ووكر؛ وفورست، إدوارد؛ وكراثوول، ديفيد (١٩٨٥). **نظام تصنيف الأهداف التربوية**، ترجمة: محمد الخوالدة وصادق عودة. جدة: دار الشروق.

٢٣- جابر، جابر عبد الحميد (٢٠٠٠). **مدرس القرن الحادي والعشرين الفعال**. القاهرة: دار الفكر العربي.

٢٤- جانييه، روبرت (٢٠٠٠). **أصول تكنولوجيا التعليم**، ترجمة محمد المشيقح، وعبد الرحمن الشاعر، وبدر الصالح، وفهد الفهد. الرياض: جامعة الملك سعود.

٢٥- حسام الدين، كريم (٢٠٠١). **الإشارات الجسمية**، ط٢. القاهرة: دارغريب.

٢٦- خليفة، عبد اللطيف؛ وعبد الله، معتز (١٩٩٧). **الدوافع والانفعالات**. الكويت: مكتبة المنار الإسلامية.

٢٧- سليمان، السر أحمد (٢٠٠٣). **الأبعاد النفسية لتعبيرات الوجه في القرآن**. عنيزة: دار الطباعة للأوفست.

٢٨- عياض، عياض بن موسى (٢٠٠١). **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** ﷺ، ط٣. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

٢٩- قطامي، يوسف؛ وقطامي، نايفة (٢٠٠١). **سيكولوجية التدريس**. عمان: دار الشروق.

٣٠- مسلم ابن الحجاج (١٩٩٨). **صحيح مسلم**. الرياض: بيت الأفكار الدولية.

٣١- نجاتي، محمد عثمان (١٩٩٧). **القرآن وعلم النفس**، ط ٦. القاهرة: دار الشروق.

٣٢- ويلسون، جلين (٢٠٠٠). **سيكولوجية فنون الأداء**، ترجمة: شاكر عبد الحميد. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

٣٣- يالجن، مقداد (١٩٩٩). **مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية**. الرياض: دار عالم الكتب.

34 - Alibali, M.; Flevares, L.; & Goldin-Meadow, S. (1997). Assessing knowledge conveyed in gesture. **Journal of Educational Psychology**, 89 (1), 183-193.

35 - Babad, E.; Avni-Babad, D.; & Rosenthal, R. (2003). Teachers brief nonverbal behaviors in defined instructional situations can predict students evaluations. **Journal of Educational Psychology**, 95 (3), 553-562.

36 - Chaplin, W.; Philips, J.; Clanton, N.; & Stein, J. (2000). Handshaking, gender, personality, and first impression. **Journal of Personality and Social Psychology**, 79(1), 110-117.

37 - DePaulo, B. (1992). Nonverbal behavior and self-presentation. **Psychological Bulletin**, 111 (2), 203-243.

38 - Flevarse, L.& Perry, M.(2001).How many do you see? The use of nonspoken representations in first-grade mathematics lessons. **Journal of Educational Psychology**, 93 (2), 330-345.

39 - Gosselin, P. & Simard, J. (1999). Childrens knowledge of facial expression of emotions. **Journal of Genetic Psychology**, 160 (2), 181-193.

40 - Hadit, J. & Keltner, D.(1999) Culture and facial expression. **Cognition & Emotion**, 13 (3), 225-266.

41 - Hassin, R.& Trope, Y. (2000). Facing faces: Studies on the cognitive aspects of physiognomy. **Journal of Personality and Social Psychology**, 78 (5), 837-852.

42 - Golden-Meadow, S.; Kim, S.& Singer, M.(1999). What the teachers hands tell the students mind about math. **Journal of Educational Psychology**, 91 (4), 720-730.

43 - Knapp, M. & Hall, S.(1997). **Nonverbal Communication in Human Interaction**, 4th Ed. New York: Harcourt Brace College Publishers.

44 - Kring, A. & Gordon, A. (1998). Sex differences in emotion expression, experience, and physiology. **Journal of Personality and Social Psychology**, 74 (3), 686-703.

45 - Martin, R. (2000).Humor and laughter. In: L. Kazdin, (Ed. In Chief), **Encyclopedia of Psychology**, Vol. 4, pp.202-204. New York: Oxford University Press.

46 - McClutre, E. (2000). A meta analytic review of sex differences in facial expression processing and their development in infants, children, and adolescents. **Psychological Bulletin**, 128 (3), 424-453.

47 - Nelson, C. & Haan, M. (1998). A neurobiological approach to the recognition of facial expressions in infancy. In: J. Russell & J. Fernandez- Dols (Eds.). **The Psychology of Facial Expression** (pp. 176-204) New York: Cambridge University Press.

48 - Nicoladis, E.; Mayberry, R.; Genese, F. (1999). Gesture and early bilingual development. **Developmental Psychology**, 35 (2), 514-526.

49 - Provine, R. (1998).Yawns, laughs, smiles, tickles, and talking. In: J. Russell & J. Fernandez- Dols (Eds.), **The Psychology of Facial Expression** (pp. 158-175) New York: Cambridge University Press.

50 - Reber, A. & Reber, E. (2001). **Dictionary of Psychology**, 3rd Ed. London: Penguin Books.

51 - Russell, J. (1994). Is there universal recognition of emotion from facial expression? A review of the cross-cultural studies. **Psychological Bulletin**, 115(1), 102-141.

52 - Smith, C.& Scott, H. (1998). A componential approach to the meaning of facial expressions. In: J. Russell & J. Fernandez- Dols (Eds.), **The Psychology of Facial Expression** (pp. 229-259) New York: Cambridge University Press.

53 - Tronick, E.(1989). Emotions and emotional communication in infants. **American Psychologist**, 44 (2), 112-119.

54 - Tubbs, S. & Moss, S. (1994). **Human Communication**, 7th Ed. New York: McGraw-Hill.

55 - Vingerhoets, A.; Cornelius, R.; Van Heck, G. & Beth, M. (2000). Adult crying: A model and review of the literature. **Review of General Psychology**, 4 (4), 354-377.

56 - Wagner, H.(1998) Methods for the study of facial behavior. In: J. Russel, & J. Fernandez-Dols (Eds.). **The Psychology of Facial Expression**, New York: Cambridge University Press.

57 - Yik, M. &Russell, J. (1999).Interpretation of faces: A cross-cultural of a prediction from Fridlunds theory. **Cognition & Emotion**, 13 (1), 93-104.